BOBST LIBRARY
3 1142 01387 8494

DATE DUE
NEW YORK UNIVERSITY
BOBST LIBRARY
CIRC
SEP -7
CIRC
SEP
70 WASHINGTON SQUARE SOUTH
NEW YORK, N.Y. 10012

al-Dimashqī, Ja'far ibn 'Alī
Kitāb al-Ishārah ilā Maḥāsin al-tijārah

كتاب الاشارة

الى محاسن التجارة

ومعرفة جيد الاعراض وردیها
وغشوش المدلسين فيها

تاليف

الشيخ ابي الفضل جعفر بن علي الدمشقي

رحمه الله وعفا عنه

بمنه وكرمه آمين

« طبع بمطبعة المؤيد وعلى نفقتها سنة ١٣١٨ هجرية »

HF
406
.D65
a.1

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الغني المجيد . القوى الشديد . الذي له ما في السموات وما في الارض وهو الولي الحميد . وصلى الله على سيدنا محمد الذي اختصه الله بالتنزيل . وأيده بروح القدس جبريل . ونعته في كتب جده الخليل . وعلى آله وأصحابه أجمعين . الى يوم الدين .

هذا كتاب اختصرناه في محاسن التجارة ومعرفة قيمة جيد الاعراض ورديها . وغشوش المدلسين فيها . وجعلناه فصولا فاولها

فصل في بيان حقيقة المال

اعلم يا أخي وفقك الله ان المال في اللغة اسم للقليل والكثير من المقتنيات وانما يفرق بين ذلك في النعوت فيقال مال جزيل ومال قليل . وجمعه أموال . وهذا الجمع أيضاً يحتمل التكثير والتحقير وذلك بالنعوت فيقال أموال عظيمة خطيرة . أو أموال نزرة يسيرة . وهذه التسمية تنقسم الى أربعة أقسام

أحدها يسمي الصامت وهو العين والورق وسائر المصوغ منها

والثانى العرض ويشتمل على الامتعة والبضائع والجواهر والحديد والنحاس والرصاص والخشب وسائر الاشياء المصنوعة منها

والثالث يسمى العقار وهو صنفان . أحدهما المسقف وهو الادور والفنادق والحوانيت والحمامات والارحية والمعاصر والفواخير والافران

والمدابغ والعراص . والآخر المزدرع ويشتمل على البساتين والكروم والمراعى والغياض والآجام وما يحويه من العيون والحقوق في مياه الانهار

والرابع الحيوان والعرب تسميه المال الناطق مقابلة لتسميتهم المال من العين والورق المال الصامت . وهو ثلاثة أصناف . أحدها الرقيق وهو العبيد والاماء . والثانى الكراع وهو الخيل والحمير والابل المستعملة . والثالث الماشية وهي الغنم والبقر والمعز والجواميس والابل السائمة المهملة

فصل في مدح الغني بكثرة المال

الغنى ينبئ عن خلال شريفة ويخبر عن خصال كريمة جداً وذلك أن توهم غني الرجل موروثا أخبر عن نعمة قديمة ونسبة كريمة . وان توهم مكتسبا أخبر عن همة عالية وعقل وافر ورأى كامل وذلك أن الضعيف في الرأي والتدبير يفرق المال المجتمع فمتى يظن بصاحبه جمع المفترق واكتساب ماليس له أصل . وان توهم ذلك مجتمعا من جوائز الملوك ومعادن السلطان أنبأ عن جلالة قدر ونباهة ذكر وأصالة رأى . وان توهم باتفاق ومصادفة من غير قصد اليه أنبأ عن سعادة جد ويمن طائر . ولو لم يكن في الغنى الا انه من صفات الله عز وجل لكفي فضلا وشرفا عظيما

والاموال جميعها نافعة لاهلها اذا دبرت كما يجب وبعضها أفضل من بعض وتختلف باختلاف أحوال الزمان وبحكم ماهي عليه من صفاتها المكروهة أو المحبوبة وأحوالها المحمودة أو المذمومة وساذكر من ذلك طرفا . فاما المضار المتوجهة من المال فمن جهة المتغلبين . السلاطين الجائرين والحسد والحساد

فصل في موضع الحاجة الي المال الصامت

لما كان الانسان من بين سائر الحيوان كثير الحاجات فبعضها ضرورية وبعضها طبيعية وهي كونه محتاجا الى منزل مبني وثوب منسوج وغذاء مصنوع. وبعضها عرضية وضعية كحاجته عند اللقاء الي ما يقيه من عدوه والى ما يقاتل به وحاجته عند المرض الى أدوية مركبة من عقاقير وأشربة وكل واحد من هذه الحاجات يحتاج الى أنواع من الصناعات حتى تتكون ثم حتى تتم كما يفعل في النبات وحاجته ان يزرع أو يغرس ثم ينقى ثم يسقى ويربي ثم يحصد أو يلقط ثم يحتاج الى صناعة أخرى تكون تمام الانتفاع به كحاجة القمح بعد حصاده الي الدراس والذرو والتغربلة والتنقية والطحن والنخل والعجن والخبز حتي يصلح ان يتغذى به. وحاجة الكتان بعد البذر والتعطين الى النفض والدق ثم المشط والغزل ثم الى الطبخ ثم سائر أعمال النساجة ثم الي الصفر والقصارة والخياطة حتى يصلح ان يكتسي به

ولم يمكن الواحد من الناس لقصر عمره ان يتكلف جميع الصناعات كلها وان كان فيه احتمال لتعلم كثير منها فليس يقدر على جمعها كلها ألبتة حتي يحيط بها من أولها الي آخرها علما ولان الصناعات مضمومة بعضها الى بعض كالبناء يحتاج الي النجار والنجار يحتاج الي الحداد وصناع الحديد يحتاجون الي صناعة أصحاب المعادن وتلك الصناعات تحتاج الي البناء فاحتاج الناس لهذه العلة الي اتخاذ المدن والاجتماع فيها ليعين بعضهم بعضاً لما لزمتهم الحاجة الي بعضهم بعضاً

وأما باقي الحيوانات فليس بهم حاجة الي بعضهم بعد قوة الشر اذ كانت مكتسية من ذاتها بملابس طبيعية إما شعر أو صوف أو وبر أو ريش أو قشور

أو اصداف وأقواتها معرضة لها من حيوانات أو نبات ومساكنها كذلك وكل واحد منها ليس به حاجة الى غيره

وأما الحيوانات التي تحت أيدى الناس فلكونها محصورة فتحتاج الى ما يغذوها ويكسوها ويكرمها والا هلكت

فلما كان الناس يحتاج بعضهم الي بعض على ما تقدم ذكره ولم يكن وقت حاجة كل واحد منهم وقت حاجة الآخر حتى اذا كان واحد منهم مثلا نجارا فاحتاج الي حداد فلا يجد. ولا مقادير ما يحتاجون اليه متساوية ولم يمكن ان يعلم ما قيمة كل شيء من كل جنس وما مقدار العرض عن كل جزء من بقية الاجزاء من سائر الاشياء وما مقدار أخري كل صناعة من أخرى الصناعة الاخرى فلذلك احتيج الي شيء يثمن به جميع الاشياء ويعرف به قيمة بعضها من بعض فمتى احتاج الانسان الي شيء مما يباع أو يستعمل دفع قيمة ذلك الشيء من ذلك الجوهر الذي جعل ثمنا لسائر الاشياء. ولو لم يفعل ذلك لكان الذى عنده نوع من الانواع التي يحتاج اليها صاحبه كالزيت والقمح وما أشبههما وعند صاحبه أنواع أخر لا يتفق ان يحتاج هذا الي ما عند ذلك ويحتاج ذلك الى ما عند هذا فى وقت واحد فتقع الممانعة بينهما وان وقع الاتفاق بينهما فى حاجة كل واحد منهما الي ما عند صاحبه لم يقع بينهما اتفاق فى أن يكون يحتاج هذا مما بيد ذلك الي ما يكون قيمته مقدار ما يحتاج اليه ذلك مما فى يد هذا لا يزيد ولا ينقص فانه قد تكون حاجة صاحب القمح مثلا الي رطل زيت وحاجة صاحب الزيت الى حملي قمح وقد تكون حاجة صاحب القمح الي زيت كثير وحاجة صاحب الزيت الي قمح قليل فيقع الاختلاف بينهما اذ ذاك فنظرت الاوائل فى شيء يثمن به جميع الاشياء فوجدوا جميع ما فى

أيدي الناس اما نبات أو حيوان أو معادن فأسقطوا النبات والحيوان عن هذه الرتبة لان كل واحد منهما مستحيل يسرع اليه الفساد . وأما المعادن فاختاروا منها الأحجار الذائبة الجامدة ثم أسقطوا منها الحديد والنحاس والرصاص . فأما الحديد فلا سراع الصدأ اليه وكذلك النحاس أيضا . وأما الرصاص فلتسويده وافراط لينه فتتغير أشكال صورته وكذلك أسقط بعض الناس النحاس لما يركبه من الزنجار وطبعه بعض الناس كالدرهم فانهم عملوا منه فلوسا يتعاملون بها

ووقع إجماع الناس كافة على تفضيل الذهب والفضة لسرعة المواتاة في السبك والطرق والجمع والتفرقة والتشكيل بأى شكل أريد مع حسن الرونق وعدم الروائح والطعوم الرديئة وبقائهما على الدفن وقبولهما العلامات التي تصونهما وثبات السمات التى تحفظهما من الغش والتدليس فطبعوهما وثمنوا بهما الاشياء كلها ورأوا أن الذهب أجل قدرا فى حسن الرونق وتلزز الاجزاء والبقاء على طول الدفن وتكرار السبك فى النار فجعلوا كل جزء منه بعدة من أجزاء الفضة وجعلوهما ثمنا لسائر الاشياء فاصطلحوا على ذلك ليشترى الانسان حاجته في وقت ارادته وليكون من حصل له هذان الجوهران كأن الانواع التى يحتاج اليها حاصلة فى يده مجموعة لديه متى شاء فلذلك لزمت الحاجة فى المعاش الى المال الصامت

وقال بعض الآدباء . العين للعين قرة . وللظهر قوة . ومن ملك الصفراء ابيض وجهه واخضر عيشه

فصل فيما يمتحن به المال الصامت فيعلم جيده من رديئه

لما ذكرت مواقع الحاجة الي المال الصامت مع علم كافة الناس بالانتفاع

به ومحبتهم لاقتنائه واكتسابه وجب أن اذكر مايمتحن به فتعلم جودته فتؤمن مغبة غشوش المدلسين فيه

فأما الذهب فمن ذلك الحمى فى النار فمتى كان فيه جسم آخر من النحاس أو الفضة أسود أو اخضر وتغيرت سحنته . وقد يمكن بعض حذاق المدلسين فى تدبيرات الذهب الغش بما يحسنه في الحمى

ومنه الوزن بتأمل الثقيل والطنين ولا ينتفع بهاتين العلامتين الا من تدرب من الصيارف والمدركين والصاغة فان للذهب من الثقل وتلزز الاجزاء صفة لايدانيه فيها مايغش به . وكذلك صوته اذا نقر فانه رخيم معتدل فاذا غش بالنحاس أو الفضة ظهر فى صوته دقة وحدة تدل على صلابة وصلت في مجسه . واذا لبس الذهب على الفضة انحرف اذا نقر ولم يكن له صوت وكذلك اذا كان موترا ويأتي ذكر التوتير بعد هذا الفصل

ومنه المحك وقد يتحيل المدلسون في أشياء تفسد امتحان المحك بأدوية قوية التحمير توضع على الذهب وتحمى وتطفى في مياه مدبرة فيظهر في المحك أنه جيد وهو ردىء الى غير ذلك من القوى الطلى والتخييش بالاوراق ويفسد امتحان المحك أيضا اذا وتر الذهب وهو أن يعلق العلق الصامت أو السبيكة وهي غليظة فيعمل الدواء في ظاهر العلق فيجود ولا تصل قوة الدواء الى باطنه فيبقى ردئيا على حاله الا انه ينقص صوته في الطنين فيستدل عليه بذلك

ومنه القطع بالكاز وهو قد يكذب اذا كان الدينار مخيشا باوراق قوية فانه ينزل منها مع حد شفرة الكاز من الجانبين ويطبق على القطع فيظهر انه ذهب والكسر أصدق منه

فاما العلامة التى لا يدخلها ريب ولا يجوز عليها التدليس والازغال والبرهان الذى لا تنجع فيه حيلة المحتال . فهو التعليق وهو أن يدق الذهب ويبي سافات من الاجزاء المدقوقة والملح فى اناء فخار وتوقد عليه النار عشرين ساعة فما ثبت على ذلك وظهر حسن رونقه ولونه عند خروجه من النار ولم ينقص كثير نقص زالت الشكوك فيه

فاما الفضة فان المحك الاعظم فيها سبك الروباس وهو الربح المعكوس فما ثبت عليه زالت الشكوك فيه فان كثيراً من المتعرضين لصنعة الكيمياء يطهرون النحاس ويبيضونه الى حد ان يصاغ منه سائر الاعلاق ويمد خيوطاً ويستعمل فى سائر الصناعات كلها ويطلى بالذهب ويجري عليه السواد ويثبت لونه فى الحمى والمحك وبعد البرد فاذا دخل تحت الروباس تلف

والعلامة التى هي دون هذا فى الاحتياط الحمي فى النار فان كان رديئاً اسود . وقد يكون العلق من الفضة حسن الصنعة مموهاً بالذهب يجرى عليه السواد فان أحمى تلفت الصنعة فلا تسخو النفس بذلك

والحيلة فيه ان يبرد من بعض حروفه شيء يسير فتؤخذ تلك البرادة وتوضع على صحفة حديد وتحمي فى النار ثم يتأمل لونها فان ذلك ينوب عن حمى جملته

والعلامة التى هى دون هذا هى ان يبرد العلق ثم ينظر الموضع الذي كشف المبرد بعد ساعة ان كان تغير ويحك بالمحك فى الموضع المكشوف بالمبرد ويقرن اليه العيار وقد تكذب العيارات اذا كان الحمل أصفر وبيان الحمل من النحاس الاصفر في الحمى اكثر من بيانه فى المحك لانه في الحمى يعطيك اللون الأسود

فصل في الاعراض

انواع الاعراض تحتاج الى ثلاثة أشياء من الصيانة والاحتياط والتفقد فالاول التحفظ فى وقت شرائها وتحصيلها وذلك بامرين .أحدهما العلم بقيمتها المتوسطة وبجيدها ورديئها وغشوش المدلسين فيها

والثاني معونة الخبيرين بها اذا كانوا ثقات واستماع نصحهم فقد قال النبي صلى الله عليه وسلم « استعينوا على كل صنعة بصالح أهلها »

والثالث صيانتها من أن يسرع اليها الفساد والتغيير وذلك بشيئين أحدهما العلم بالشيء المفسد لكل نوع منها ماهو وكم هو . والآخر المعرفة بما يمنع من ذلك الفساد ويمايزاد فى ذلك التوقى وينقص بحسب اختلاف الاوقات والاحوال من صيف وشتاء وسفر وحضر

مثال ذلك فيما يزاد وينقص أن أحد الاشياء المتلفة للمتاع الغبار والبلل من الماء والندى وغير ذلك من الادهان ويمنع من ذلك في حال الحضر ان يجعل في أسفاط مغشاة برقوق وتوضع على أسرة أو ألواح عالية عن الارض ويطرح عليها غشى صفيقة ويتفقد سقف البيت ان كان مكشوفا للمطر أو مسكونا في مواضع استعمال الماء تحرزا من الوكف وفى حال السفر في البحر أو فى البرد اذا كان في فصل الشتاء

فان كان المتاع جليل القدر واحتيج الى زيادة في الاحتياط فيغشي ويحزم ويطرح عليه من فوق الاغشية والحزم القطن المندوف ومن فوقه اللبود القوية الدلك ويحزم حزما ثانيا ويغشي من فوق ذلك بالخرق المشمعة ويخيط عليه ويطري بالمشمع على مواضع أوصالها ويلبس بالانطاع

ويشد عليها

فان أريد المبالغة في الاحتياط التام غشيت بعد ذلك بالخيوش الكتانية وزفتت تزفيت المراكب وقد فعل ذلك جماعة من التجار الاعيان مرارا كثيرة

والنوع الثالث حفظها باذن الله عز وجل من الخونة والسراق والقطاع وذلك بثلاثة أشياء . أما من جهة الخونة فبالخواتيم والرشوم والحساب والاعتبار بالكيل والوزن والعدد والتجسس عليهم باستطلاع غوامض أخبارهم . وأما من جهة السراق فبالخزن في المواضع المامونة التى لا يتطرق اليها ذو فطنة والابواب الوثيقة والاغلاق الجيدة والحيطان الرفيعة . وأما من جهة القطاع فالحمل ان كان السفر فى البحر فى السفن المطبقة العظيمة الكثيرة العدد والسلاح والنواتية والبحارة والركاب . وان كان فى البر فبالصحبة المأمونة العزيزة أو الحفراء الثقات المعروفين ابدا بالوجاهة والخير والحسب والامانة

فصل في المعرفة بالقيمة المتوسطة لسائر الاعراض

اما بتثمين ما يثمن من الاعراض ومبلغ قيمته المتوسطة فهو بالاضافة الى المكان الذي يلتمس معرفة ذلك فيه وذلك لان قيمة الاسفاط الهندية بالمغرب مخالفة لقيمتها باليمن والمتوسط والمعتدل من أسعارها في أحد المكانين غير المتوسط والمعتدل من أسعارها فى المكان الآخر . وقيمة المرجان بالمشرق غير قيمته بالمغرب وذلك لاجل القرب من المعادن

وكذلك الامكنة المشهورة كل مكان منها يختص بفن من الفنون لا ينطبع في غيرها مثله فان قيمة ذلك الشيء المصنوع فى معادنه مخالفة لقيمته فى الاماكن

التى يستظرف فيها

والوجه في تعرف القيمة المتوسطة ان تسأل الثقات الخبيرين عن سعر ذلك فى بلدهم على ما جرت به العادة فى اكثر الاوقات المستمرة والزيادة المتعارفة فيه والنقص المتعارف والزيادة النادرة والنقص النادر وتقيس بعض ذلك ببعض مضافا الى نسبة الاحوال التي هم عليها من خوف أو أمن ومن توفر وكثرة أو اختلال وتستخرج بقريحتك لذلك الشيء قيمة متوسطة أو تستعلمها من ذوى المعرفة والامانة منهم فان لكل بضاعة ولكل شيء مما يمكن بيعه قيمة متوسطة معروفة عند أهل الخبرة به فما زاد عليها سمي باسماء مختلفة على قدر ارتفاعه فانه اذا كانت الزيادة يسيرة قيل قد تحرك سعره فان زاد شيأ قيل قد نفق فان زاد أيضاً قيل ارتقى . فان زاد قيل قد غلا . فان زاد قيل قد تناهى .

فان كان مما الحاجة اليه ضرورية كالاقوات سمى الغلاء العظيم والمبير وبازاء هذه لاسماء فى الزيادة أسماء النقصان فان كان النقصان يسيرا قيل قد هدأ السعر فان نقص اكثر قيل قد كسد . فان نقص قيل قد اتضع . فان نقص قيل قد رخص . فان نقص قيل قد بار فان نقص قيل قد سقط السعر وما شاكل هذا الاسم

والتجار المجربون يقولون اشتر غالي الرخيص ولا تشتر رخيص الغالي . مثال ذلك انه ان كان الشيء قد جرت العادة في اكثر الاوقات أن يكون ثمنه دينارين وكان الدينار ان هما قيمته المتوسطة ثم زاد سعره بسبب انقطاع طريق أو تاخر ورود أو كثرة طالب أو قلته هو فى ذاته بسبب احدى الجوائح السماوية أو الارضية فبلغ أربعة دنانير ثم استمر على ذلك وقتا من الزمان

ثم صلح سعره فبلغ ثلاثة دنانير فهذا يسمونه رخيص الغالي ومشتريه من الخزان معيب عند التجار لان الاشياء ترجع الى حقائقها ومتوسطاتها وان تمادت على خلاف ذلك وقتاما

فان نقص سعره فبلغ دينارا واحدا إما لقلة طالب أولأمن سبيل أو زيادة ربع واضداد ما تقدم ذكره ثم تمادي على ذلك مدة ماثم تحرك سعره فبلغ دينارا واحدا ونصف دينار فان هذا يسمونه غالى الرخيص ومشتريه محمود عند التجار لان سعادة البضاعة تدل على عودتها الى حالها الاول قال الشاعر

زيادة شيء تلحق النفس بالمني * وبعض التغالى فى التجارة أربح

واعلم ان البضائع صاحبها معرض لشغل القلب والخوف من اتضاعها سيما اذا كانت غالية أو مما يفسد بسرعة قال الله تعالي « وتجارة تخشون كسادها » وروي عن النبي صلي الله عليه وسلم انه قال « نزعت البركة من الشيء الغالي والشيء الردئ » فالشيء الغالى قد أخذ الفائدة فيه غيرك ونزعت منه البركة فهو الى الخسران أقرب منه الي الربح

فصل في جيد الاعراض ورديئها

أما معرفة جيد الاعراض ورديئها وغشوش المدلسين فيها فقد وضع فى كل نوع منها كتب كثيرة كالجواهر فانه وضع الكندى وغيره من المتقدمين فيها مقالات عدة بينوا فيها مقادير اثمانها ومحمود صفاتها واماكن معادنها وكيفية استخراجها

وكذلك العطر وأنواع العقاقير والاسفاط فقد وضع الاطباء والفلاسفة المتقدمون وكثير من العلماء المتأخرين فيها كتبا كثيرة بينوا فيها خواصها

ومنافعها وجيدها ورديئها واماكنها وجميع اسمائها باللغات اليونانية والفارسية والعربية

وكذلك أكثر الانواع من البز والطرائف . ومتى قصدت أن أذكر ما في كل صنف طال الكتاب وبعد المرام لان العطر وحده قد أحصى بعض المتأخرين ماعرفه منه وما سمع به وما قرأه فكان قريبا من ثلاثة آلاف عقار ويحتاج كل واحد منها في نعوته وذكر منافعه ومضاره الى شرح طويل غير اني سأذكر من ذلك شيأ مما يكثر بيعه وشراؤه والمتاجرة فيه وكذلك فى غيره من الاعراض فمن ذلك القول فى الجوهر

الجواهر المثمنة ترغب فى اقتنائها الملوك والسلاطين لعظم الثمن وخفة المحمل والمباهاة بها وعدمها عند العامة وما كان كذلك فنظر مالكه اليه وتقليبه اياه يسره ويبهجه ويشرح صدره ويطيب نفسه فهو يزداد به فرحاً

ومنها الدر وهو اللؤلؤ الكبار وهو أشبه شيء بالكواكب الكبار. وأفضله القارّ وهو المستدير الشكل من سائر جهاته النقي اللون الحسن المائية وهى الوبيص والجوهرية وهى الاشراق . وكل ما كان من الجواهر بهذه الصفة يسمى الرطب . واذا كان وزن اللؤلؤة منها مثقالا وهى بهذه الصفة كانت قيمتها ثلاثمائة دينار

واذا كانت اللؤلؤتان كل منهما وزنها مثقال وهما شكل واحد لا يفرق بينهما في المنظر وهما بهذه الصفة كانت قيمتهما أكثر من سبعمائة دينار لاجتماعهما

واذا كان وزن الاثنين مثقالا وهما بهذه الصفة كانت قيمتهما مائة دينار واذا كان وزنهما ثلثى مثقال كانت قيمتهما خمسين دينارا. واذا كان وزنهما نصف مثقال كانت قيمتهما عشرين دينار واذا كان وزنهما ثلث مثقال كانت قيمتهما خمسة دنانير

والجوهر يحتمل الزيادة فى السوم سيما عند حضور الراغب الا أن العيب

فيه لايغتفر ولا يسقط منه بعض الثمن لكن معظمه

وعيوب اللؤلؤ التصديف وتغيير الشكل عن الاستدارة والصفرة والابتراص وسعة الثقب واعوجاجه والترنير

والاشياء التي تضره الادهان جميعها والحموضات كلها لاسيما ماء الليمون ووهج النار والاحتكاك بالاشياء الخشنة

الياقوت

أفضل أجناسه الاحمر القاني اللون ويسمى البهرماني ثم يتلوه الاحمر المشرق اللون الناقص عن لون البهرماني قليلا ويسمى الرماني . وبعده الازرق الغميق اللون وتشوب زرقته حمرة ويسمى الاسمانجوني . وبعده الاصفر وهو الفافع اللون . وبعده الذهبي

واذا كان الفص من الياقوت حسن الشكل سالما من الثقوب والتشعير أحمر قانى اللون رطباً وزنه مثقال ساوى أربعمائة دينار . وان كان وزنه نصف مثقال ساوى خمسين دينارا . وان كان وزنه ثلث مثقال ساوى خمسة عشر دينارا . وان كان وزنه ربع مثقال ساوي ستة دنانير

وأما الرمانى فاذا كان صبغ اللون ساوي الربع من قيمة البهرمانى

وأما الاسمانجونى فانه اذا كان على الصفات المحمودة ساوى السدس من قيمة البهرمانى

وأما باقي ألوان الياقوت فانها كثيرة الوجود وهى رخيصة وأثمانها معروفة عند أهل الخبرة بها في سائر البلاد . وانما ذكرت قيمة ماذكرت من الجواهر الفاخرة لاجل أنها تجرى مجرى الذهب لعزتها في معادنها

فأما عيوب الياقوت فأردأ ألوان الياقوت الاحمر المورد الذي يضرب الى البياض والسماق الذي يضرب الى السواد. وأردأ ألوان الياقوت الازرق الذى يضرب الى لون الرماد ويسمى السنوري . وكذلك الذي يسمى الزيتى. وأردأ ألوان الياقوت الاصفر مانقص لونه وضرب الى البياض وأردأ صفاته قبح الشكل والشعرات والطرائق والثقوب

وأما امتحان الياقوت فمن علاماته الثقل ويقبل البرودة بسرعة وأن يجرح بكسر العقيق فلا يعمل فيه وهو يصبر على النار اكثر من صبر غيره من جميع الاحجار

الزمرذ

أعلم أن الزمرذ أجله الذبابى وانما سمي بهذه التسمية لشبه لونه بالخضرة التي تكون فى الكبار من الذباب وأحسن ما يكون من الخضرة . وبعده الريحانى وأخسه قيمة الذى يضرب الى البياض مع كمودة ويسمي العربي

وقيمته تختلف بحسب طلابه واغراضهم فى أشكاله فمنهم من يرغب فى الفصوص منه. ومنهم من لا يريد الا القصب وكذلك تختلف ارادتهم في أشكال الفصوص . والمدلسون يحيلون فى التشبيه به اكثر من الياقوت . وأفضل امتحانه الخفة والتشعير والطرائق وهو يصبر على النار مالا يصبر عليه مايغش به

الماس

حصى تختلف مقاديرها فى الصغر والكبر من وزن حبة الي مثقال ولا تكاد تختلف أشكالها كثير اختلاف لان جميعها مقرن ذوزوايا خمس أوثلاث.

ولونه أبيض يشبه البلور ولكن يشوبه حمرة يسيرة وفيه مايشوبه كمودة يشبه لون الزجاج . ومائيته تشبه الياقوت وهو أخف من الياقوت وأثقل من الزجاج والبلور

ومن خواصه انه ينكى فى الاحجار والجواهر المانعة ولا ينكى فيه ويضرب على السندان بالمطرقة فيغوص فيها . واذا تحيل فى كسره سمر فى صفيحة من رصاص ويجعل بين فمي قدومين وينقر برفق . ولا يعتمد بالكسر الا ما كان منه صغيراً لا يسئل عن قيمته

والملوك ترغب فى اقتناء الاحجار الكبار منه لعدمها عند العامة وقلتها وتتخذها فصوصا تختم بها . وتراد أيضا لمن يقتلون بها أنفسهم متي حصلوا فى قبضة عدو وأيقنوا أنه يعذبهم ويهينهم قبل القتل فان الملك اذا اتفق له ذلك ابتلع الفص فمات . وقيمة الفص منه كقيمة الياقوت البهماني الفاخر على ما تقدم من ذكر أوزانه

الفيروزج

لا يكاد كثير من الملوك يرغب فى لبسه لاجل ان العامة تكثر من التختم به ولبس الفصوص المشبهة بالجيد منه

وأفضله ما صلب وحسنت مائيته وغمقت زرقته وما كان على غير هذه الصفة يسمي الابواسحاقى

وما كان على غير هذه الصفة فهو حجر رخو يقبل الادهان فيستحيل لونه الي الخضرة والكمودة فيفسد

المرجان

أفضله ما عظم منه وغلظ ويسمى الشاخ وما اشتدت حمرته وسبط وقطعت العقد الكبار من أسافله وهو يسمى السبد وسلم من السوس. وأدونه مادق منه ويسمى ساق الجراد. وأردأه مادق منه وسوس والواقع والناقص اللون

والبيعة منه في معادنه عشرة ارطال ونصف بالمصرى وهي التي تقع عليها المساومة . والبيعة منه في ديار مصر والشام والعراق اذا كان محلى على الف وعشرين درهما . والغشيم الف ومائة

وتختلف قيمته فى الكساد والنفاق والقلة والكثرة اختلافا متفاوتا وقيمته المتوسطة بديار مصر والشام أما الشاخ الجيد فعشرون ديناراً البيعة. وأما المتوسطة فاثنا عشر ديناراً . وأما الدون فمن ثلاثة دنانير الى ستة دنانير

وأما الاشياء المفسدة له فان النار تحرقه والحموضات تبيضه وكذلك ان جعل في وعاء كان فيه خمر أوأثر خل فانه يتلفه

العقيق

اعلم يا أخى ان العقيق من أحسن الجواهر المليحة لولا كثرته وهان عند الملوك لاقتدار العامة عليه فهم لا يتخذون الا ما كان حجراً كبيراً قد عملت منه آلة مليحة مثل مدهن أو قدح أو ماجرى هذا المجري فيقتني على حكم الاستطراف والوجود فان العامة لا تمكن من ذلك

وأفضل العقيق الاحمر القانى اللون الحسن المائية والاشراق ويسمي

الرطب . وبعده الاصفر الذهبي اللون . وأدونه ما مال لونه الى البياض أو أو الى السواد وما كمد فنقص اشراقه

وأما ما يجب أن يوقي منه فان اصطكاكه بالاجسام الصلبة يكسره وان النار تفسده

اللازورد

يجري عند الملوك مجرى العقيق فلا يتخذ منه الا ما كان حسنا جوهره واتخذت منه آلة مليحة لا تتمكن العامة من اتخاذها

فاما المطحون منه فيستدل على جودته بحسن زهرته وهو بضاعة لا تنفق في كل حين لانها لا يحتاج اليها الا فى التزويق فقط

الجزع

تعمل منه الصناع اعلاقا كباراً صحاحا فكثير أن تبلغ اثمانا كثيرة لاجل الصنعة لانه حجر مانع . ومنه الجزع الباقرانى يعمل منه فصوص برسم الملوك والاعيان ولها أثمان كثيرة

وهى طبقات يتلو بعضها بعضاً على استواء ناصعة البياض والسواد والحمرة ويخلص الصناع منها كتابة يخالف لونها أرضها وربما اتفقت فيها ثلاثة ألوان إما في كتابة أو صورة ويتمكنون من استخراج الثلاثة الالوان في الصورة لانه يقع لها تجسيم ينفذ فى الثلاث طبقات ولا يكادون يتمكنون من الكتابة الا ان يكون وجه الفص غير مسطح

فصل فيه القول في الطيب واوله المسك

المسك اكثر الاشياء غشا وتدليسا فان كان فى قوارير فيجب ان يتفقد ختمه وعلامة الرجل المشهور باداء الامانة فيه ثم يفتح بعد ذلك فيعتبر بالمشاهدة بان يكون لونه الى الشقرة مائلا ورائحته بالقوة الشديدة مع اللذاذة وذوقه بالمرارة التى هى غير مفرطة مع طم المسك والنفائج بالافتقاد ثم الفتق فكثيراً ما يجعل فيها قطع الرصاص والحديد أو ينزع المسك ويخلط معه الشادروان وهو صمغ الجوز ويحشى به

والبيعة منه عشرة مثاقيل ونصف وعليها تقع المساومة . ومن الاشياء المفسدة له الماء والهواء فيحتاط عليه بان تنط [1] أوعيته ثم تلبس بالخرق المشمعة

العنبر

أجوده ماجلب من شحر عمان وخير أو صافه الخفة والبياض والدهنية أو أن يميل لونه الى الخضرة والصفرة ميلا يسيرا ثم المغربى ما كان منه في الاوصاف المحمودة التى تقدم ذكرها وأحسنه المندولونه يضرب الى السواد. والمرمل والناشف وما ثقل وزنه . ويجب أن يكون الاحتفاظ عليه من النار أكثر من غيرها

الكافور

أجوده ماحلاذوقه وخف وعذب ريحه فلم تظهر فيه نفطية وهو الآن يسمي الجديد والاحتياط عليه أن يجعل فى اناء زجاج أو صينى داخله أملس ويخلط معه الششم ويغطي باوراق قصدير ويحكم سده وينط الاناء من

(١) قوله تنط أي تشداه

الزجاج ويستر ويوقى من الحر ووهج النار ومباشرة الاجسام الحارة

العود

أفضله الهندي وأجل صفاته الرزانة واللون المائل الى السواد ورائحته على النار فيها شبه من رائحة اللينوفر وآخر ائحته كأولها ثم يتلوه الصيني وصفاته المحمودة مشاكلة لما تقدم ذكره الا ان شعرته تخالف شعرته ورائحته على النار تشبه رائحة الورد وآخرها كاولها وهو عبق في الثياب

وأما العود الرطب فانه يطلب للادوية اكثر من البخور وعلامته اللين والطعم الحريف الذي يلذع اللسان فينفطه واذا جف سمي رامك الرطب ونقص سعره فصار أدنى قيمة من السيفي وأحسن أجناس العود الاشباه وعلامته أن آخر رائحته على النار دخانية

القرنفل

أجوده الكباش السالم من العفونة والنداوة المغربل من الدق القوى الرائحة والجوز أيضاً مثل ذلك

السنبل والاذخر

الجيد منهما العصافير وتسمى عصافير الاذخر المغربل من الدق والتراب السالم من العفونة

الصندل

صنفان أبيض وأحمر والاحمر منهما يدخل فى الادوية والابيض يدخل فى الادوية والطيب وأجوده المقاصيري ويتبين برائحته ولونه وأرداه الحورى

الزعفران

أجوده الحديث العهد الحسن اللون السالم من البياض والاستحالة والرمل والدق والنداوة المفرطة

وأجناس السقط الصغير كثيرة واكثرها يدخل فى الادوية كالراوند وما يجري مجراه فألغيت ذكرها لما تقدم من الاعتذار . واذ قد ذكرت الراوند وجب أن أذكر صفاته واجودها الطراوة واذا نشر كان لونه حسن الصفرة وأردأه النخر المسوس ذو اللون الاسود

القول في السقط الكبير

(النيل) أحمد صفاته الخفة مع غمق اللون وحسن الزهرة المشوبة بحمرة التي تشبه السوس الاسا نجوني أو أعناق الحمام الدواجن ومتي كسرت الكبة وكان داخلها عفن شديد البياض فهذه علامة محمودة فيه ويجب ان يختبر وقت شرائه من الحلف ومن النداوة فان النداوة تضر فيه من وجهين أحدهما أنها تحسن لونه فتزيد فى ثمنه ثم يذهب ذاك بعد جفافه . وأما الثاني فانها تزيد فى وزنه ثم اذا جف نقص كثيراً . والردئ منه يستحيل بسرعة واذا كسر كانت رائحة الردئ منه كرائحة الطين . فاذا اراد الانسان ان يمتحن النيل فيعلم كم مبلغ مافيه من الغش فانه يزن قطعة صغيرة ويضعها على النار فان النيل يحترق ويتصاعد والغش الذى فيه من طين أو رمل يبقى على الجمرة فيؤخذ ويوزن وتعلم نسبته

البقم

أجوده الغليظ الطري الحسن اللون وهو إما احمر قان بهرماني وإما ذو

صفرة فاقعة ذهبية . ويستدل على طراوته بحسن زهرة اللون وحلاوة الطعم وكلما كان تلبسه أقل وهو القشر الابيض البراني وسبط وكان أقل عقداً وتشقيقا فهو أفضل وهو يحول اذا تمادي عليه الزمان وينقص لونه وفعله

الفلفل

أجوده النظيف من الدق والتراب والحصى السالم من الاحتراق والعفونة التي طال عليها الزمان . وعلامة الاحتراق والعفن ان يحتك التشنيج الذى على الحبة ويتقرع

وأما الفلفل الابيض فانه جنس يخالف هذا الجنس فى شكله ولونه وهو يدخل فى الادوية ولا يدخل فى الاغذية وهو مما يحسب من السقط الصغير وافضله ماثبل حبه وقلت قشوره

اللبان

وهو صمغ شجر فى شحر عمان وأجوده المعلق الذي لقط من شجره من قبل أن يسقط الى الارض فيلتصق فى جسمه من ترابها وكان لونه ابيض مائلا الى الخضرة وكان مغربلا من الدق منقى من الحصى وسائر الاشياء التي يغش بها ولم يكن فيه تشنيج وهو الملتصق بعضه ببعض ولم يتغير لونه الى السواد . والمدلسون يتحيلون فى تدليسه وتمكنهم فيه اكثر من غيره

المصطكي

صفاته المحمودة كصفات اللبان سواء من غير نقص

دار صيني الطعام

وهو القرفا أجوده ما كان قطعا كبارا وطعمه ورائحته ذكية وهو من شر البضائع لانه يستحيل بسرعة فيمر طعمه ورائحته وكذلك التمرهندي

واما الدار صيني الملفوف فانه يدخل فى الادوية اكثر من الاغذية وأما دار صيني الطيب وهو يسمى قرفة القرنفل فهو محسوب من السقط الصغير

الال

أجوده ما كان قليل العيدان سالما من الاحتراق والتشنيج ويعتبر بالمضغ ويتفل على موضع ليتأمل قوة الصبغ ويتأمل ما كان فيه من دق لئلا يكون قد خالطه رمل وتتبين جودته وهو فى العدل من ثقل وزنه

الزنجبيل

أجوده ما كان طريا رزينا سالما من السوس والعفونة وهو يستحيل ويسوس بسرعة وحفظه بان يخلط مع الزنجبيل الفلفل

الزرنباد

أجوده الحديث النقى السالم من العفونة والدق والسوس

الخولنجان

أجوده الخلنجي اللون السالم من العفونة والسواد والبلل

القسط

صنفان حلو ومر والجيد من كل منهما الحديث العهد السالم من العفونة والسواد والدق

اللاذن

أجوده الشمعي النقي الصافى وهو يبقي مدة طويلة كبيرة فلايفسدألبتة

الاهليلجات

الاهليلج أنواع . فاما الكابلى فافضله ما كبر منه وكان حديث عهد فانك اذا كسرته وجدته مصمغا وأجله الخلنجى اللون وأما القديم العهد فانك اذا كسرته وجدته يفترك بسرعة وأما الاسود فالنظيف منه . وأما الاصفر فالصافى اللون الحديث العهد . وأما الاملج والسيرملج واليلنلج فانها مما تقل المتاجرة فيها

الكاغد

أجوده ماصفا لونه ونعم لمسه وثقل وزنه وجادت صقالته وقلت اسفاطه وآفته الارضة ويحفظ منها بالفودنج الهندى النهرى اليابس يجعل في أبياته وكذلك ثمر الحناء اذا كان يابسا ويحفظ أيضا من النداوة

الكتان

تعرف جودته فى العدل عند وزنه فان كان رزينا دل على قلة المشاق والساس فيه وعند المشاهدة فان المورق منه النقي الذى لو شئت أن تعده لامكنك وأما لمسه فكل ما كان ألين وأوطأ وأرطب فهو افضل . وعيوبه التى يعرف بها الردئ منه الخشونة والتقميل وانفتاق الشعر وكثرة الساس والمشاق

القطن

تعرف جودته فى العدل عند وزنه فكلما كان أخف دل على قلة الحب فيه وعند المشاهدة بشدة البياض والنقاء من القشرة والتفريد وعند اللمس بالوطاءة واللين

الصوف وشعر المعز

تعرف جودتهما بالنقاء واللين

الابريسم

أجوده النقي الحسن اللون السالم من الاختلاف والاوساخ الملبسة لبعض خيوطه وان تكون خيوطه شكلا واحدا ليس فيها مابعضه غليظ وبعضه رقيق ولا مغددة وتعرف جودته من ثقل وزنه وكلما رأيت اللحمة اذا وزنتها ثقيلة كان أفضل

القول في الديباج

وهو أجناس فمنه مايحتاج اليه للباس ومنه مايحتاج اليه للتعليق والفرش وأفضله ماحسن صبغه وانتظمت نقوشه ودق حريره وصفق نسجه وأشرق لونه وثقل وزنه وسلم من النار في جندرته وأدونه ما كان بخلاف هذه الصفات وجيد مايصلح للتفصيل أن يكون مائة وعشرين شبرا وما كان للفرش والتعليق أن يكون الثوب مائتي شبر وقد يكون أكثر من هذا أو أقل فاذا نقص ماهو برسم الكسوة عن هذا فانه من أكبر العيوب اذ لايفصل وعوده متعذر وان وجد ثوب يشاكله لم تسمح النفس أن تقطع بسببه خرقة

السقلاطون والعتابي والمصمت

أفضل هذه جميعها ماعمل بالحف ولم يعمل بالمشط وكان في جودة الحرير

والاوضاع على ماتقدم ذكره من صفات الديباج

الخز

يستدل على جودته بهدبه فيعرف قوة سداه وبلمسه على صفاقة نسجه . فاما لونه فالمشاهدة تنبئ عن قوة سداه ولمسه

وحد مقداره أن يكون خمسة عشر ذراعا في عرض أربعة اشبار فما نقص فهو لطيف . وأفضله ماصفق نسجه وثقل وزنه وأشبه الاسمطو فى جسمه وأرداه الضعيف السدى الخفيف الوزن الرخو النسج الكمد اللون الرديء الحرير

الدبيقي والشرب

اغراض الناس تختلف فى الطرز والرقوم وهم مجمعون على تفضيل ما كان منها أدق سلكا وأصفق نسجا وأنقى بياضا واحسن صنعة واحمر ذهبيا . ومن الدبيقي ما يكون وهو خام حسنا فاذا قصر لم ينجب

وهذا الصنف تغلط التجار فيه فيجب أن يرجع فى ذلك الى معرفة البلد التى عمل فيها فانها معلومة عند أهل الخبرة وهذه الصفات تنوب عن عن ذكر ثياب الكتان الخام منها والمقصور فان النعوت المحمودة في الجميع واحدة

الاوداري

طول كل ثوب منه اذا كاملا خمسون ذراعا فى عرض شبرين ونصف وهي تفصل ثوبين كاملين وربما فضل منهما فضلة أجودها مادق منه وصفق نسجه

النصافي والابراد

أجودها ماسلم من الاسقاط ولم يدشتك . والدشتكة أن يلبس الثوب خاما بان تقرن حاشيتاه ويخاط فيصير كالرداء أو يستخدم ثم يفتق ويقصر ويقصدون بذلك بعد الانتفاع باستعماله أن تقل خشونته ويكتسب نعومة غير أن المكتسى به لا ينتفع به ألبتة وعلامة الدشتكة أن تنظر الى شريش الثوب فتجده مقطعاً فاذا استشففته وجدت فيه مواضع قد خفت حتي تكاد أن تنفتح ومواضع صفيقة وتنظر حواشي الثوب فتجدها غير سليمة لان فيها مواضع أثر الخياط وتعرف جودة البرد وكل من الفوط والعتابي وغيرهما من خيوطه المختلفة الالوان فان تداخل بعضهافي بعضها واختلفت بدقةوغلظ وتمديد فهو ردىء وان صحت وانتظمت فى طرائقها دل على صحة الغزل وجودة النسج والسلامة فى القصارة

اللبود

أفضلها مادق ثوبه واستوي نسجه وحسن صبغه وصلب لقوة دلكه ونعم صوفه وعلامة استواء ندفه أن يستشف فيكون شيأ واحداً ليس فيه موضع دقيق ولا موضع غليظ وأردأها ما كان بخلاف هذه الصفات ويجب أن يحتاط عليهامن الغبار . وهى تسوس اذا بقيت مدة لاتستعمل

البسط والطنافس

أجودها ماحسن صبغه وصفق نسجه وثبتت قوته من ظاهره اكثر من باطنه فان رخاوته تدل على خفة النسج وأما نعومة الصوف فهي جيدة في سائر أنواعه

المناطر والاشلة

أجودها مادق سلكه وصلب نسجه ونعم لمسه وحسن صبغه وأردأها ماخالف هذه الصفات

القول في الحديد والنحاس والرصاصين والزئبق

أما الحديد الارماهن فأجوده القضبان الصافية . واعلم أن الصدأ يتسلط عليه وعلى سائر الاعلاق المصنوعة منه سيما فى البلاد القريبة من البحر المالح ولا يصان شيء منها من الصدأ الا أن يحمي ويمر عليه بقطعة شمع حتى يقبل منها مايمنع الهواء أن يدخل عليه وكذلك الزفت السائل اذا خلط معه الشمع

وأما الفولاذ فانه أصناف ينسب الى البلاد التى عمل فيها وسبك والى الصناع الحاذقين بعمله لانه مصنوع وليس يخرج من المعادن فولاذا وأفضله ماصفا وواتي فى العمل وقبل الماء فى السقاية بسرعة ومنه المجوهر

وأما الحديد الذكر فافضله القضبان الصافية المواتية

والنحاس صنفان فالمعدنى الاحمر ليس فيه اختلاف وأما المصنوع الاصفر فانه يختلف بحسب صناعه والاماكن التى عمل بها وأفضله ماسبك بالاندلس لاقتدار الصناع على عمل التوتيا التي يعمل بها وأماكنها ورخصها فما أشبه الذهب ومال الي الخضرة فهو النهاية وأردأ الاصفر ما كانت صفرته مبرصة تميل الي الحمرة

وأما الاسباذروه فانه مصنوع وهو صلف يسرع اليه الكسر وتؤذيه النار بعد فراغه من العمل . وأفضله ما كان لونه مائلا الى البياض وحسنت صنعته

والرصاص الاسرب هوالاسود وأفضله ماجلب من المعدن ولم يستعمل بعد وأرداه ماتكرر عمله وهو من البضائع المأمونة التي لايسرع اليها فساد

وأما القلعي وهو القصدير فكثيرا مايتحيل فيه بأن يجعل فى القطع الكبار منه الكحل فى وقت سبكها فلا يعرف وقد يستتر بالقطع

وأما الزئبق فأفضله ما كان مجلوبا من المعدن الذى بالقرب من طليطلة فانه أثبت في العمل وليس فيه علامة تدل عليه وهو من البضائع التي لاتصلح الا لمقيم قد أعد عنده آلة من حجر مثل حوض أو مايجري هذا المجرى وان لم يكن عنده ذلك فهو معرض للتلف لانه كالعبد الآبق

القول في الاقوات ومايجري مجراها

الحنطة تختلف مدة بقائها فى البلاد بحسب أهويتها وتربتها والسقى منها والغذاء . ويصونها أهل كل بلد بنوع من الصيانة خلاف الآخر على قدر ماجربوه وعرفوه

ومما يهم فى الاحتياط عليها فى أكثر البلاد أن يتخير القمح للخزن فيدخر منه ما كان أسمر لونا وأصلب جسما أو ما كان عديا أو في مواضع جبلية وما كان منه غير معضوب وقد كمل سمنه وأحكم جفافه وأقام فى بيدره ثم حمل على الظهر

القول في تخير المخزن

كل ما كان من المخازن ناشفا وحيطانه وأرضه ناشفة من البلل والنداوة فان كانت أرضه مبلطة فهو أفضل وذلك أن الذى يخزن من الغلات فى المواضع

الندية لا يكاد أن تبقيه الحرارة العفنة فيجب أن يكون بابه وطاقاته التي للضوء الى جهة المشرق لانها مهب ريح الصبا وهى أقل الرياح رطوبة وعفنا وكذلك يفعل فى خزن الشعير سوي بعض ما قيل في خزن الحنطة وحفظها واذا خلط فى كل مائة جزء من الحنطة جزؤ من الرماد الابيض حفظها

وفى كتب الخواص ان من دفن فى الحنطة عظم ساق ميت لم يسوس ومتى خلط فى العجين المرتك المسحوق بالزرنيخ واكل الفأر منه مات والاحتفاظ فى خزن الشعير وشعير الارز والقطانى على اختلاف أصنافها كالاحتياط على الحنطة . والسمسم بقشره والدخن واكثر آفات هذه الاشياء الفأر فيجب أن يخزن فى المخازن المبلطة ذوات الحيطان المحكمة ويجعل فيها فى بعض الاوقات السنانير ومصائد الفأر والادوية التي تسحق وتعجن بالدقيق والخبز لقتل الفأر كالحربق الاسود والزرنيخ والمرتك وغيرها وأما بزر الفجل فيحفظ من النداوة خاصة

الدقيق

متى نخل وزالت عنه نخالته وخلط معه من الملح المسحوق بقدر حاجته وحشى في خوابي جدد أو خوابى كانت برسم الماء ثم جففت منه فانها جيدة وتبقى مدة أشهر ومتى عدمت الخوابي وحشى فى جوالقات أدم أو ظروف مدبوغة نظاف بقى مدة وقد يضره الملح فى البلاد القريبة من البحر

الزيت

يجب أن يختار للزيت ما كان دفيئا سخنا ويكون بابه وطاقات الضوء فيه الى جهة الجنوب وتكون أرضه محكمة التبليط وحيطانه موزرة بالجبس والجير

وذلك نافع من ثلاثة أوجه. أحدها انه متى كان دفيئا سخنا كانت الخوابى فيه سخنة فيرق الزيت وينصقل ويكتسب لمعانا وحسنا وكون بابه وطاقاته الى جهة الجنوب يعين على هذا الغرض لانها ريح حارة وأما الثاني فانه متى حدث ببعض أوعيته حادث فاهرب على الارض منه شى تدورك وجمع منه البعض وربما لم يتلف الا اليسير . والثالث انه متى كانت أرضه وحيطانه محكمة وتفقدت لم يكن فيها جحر فار وتختار له الخوابى المجربة فان كانت متساوية القدر والشكل فهو أحسن . واذا ملئت فدع منها بعضها فارغا ليكون عدة فان حدث بشيء منها حادث حول الى الاخرى . وأما صهاريج الزيت فانها خطرة جدا

الخل

يعتمد في خزنه والاحتياط عليه كما وصفت في الزيت سواء ويحكم تغطيه جميع الخوابي ثم تطين أغطيتها بالجبس وتختم بالرشوم الا أن عمل الخل صنعة يحتاج فى تعليمه الى مشاهدة ودربة ولا يجزىء وصفه فى كتاب وتحتاج أوعيته أن تكون مزفتة ومتى ضعف وقلّت حموضته وكثر دوده فيؤخذ بعضه فيغلى ويرد على باقيه ويطرح فيه فلفل مدقوق

وأما الشيرج فلا يصلح للخزن بسبب انه يروح ويتغير طعمه سريعا فلا يجب ان يستعمل الاطريا

الصابون

يعتمد فى خزنه ان يعتبر أولا بالمشاهدة فان كان جيدا انتقدت خزنه وأحرازه وان كان فى أوعيته كسر أو شق حول الى وعاء صحيح ثم يتخير له من المخازن ما كان بارداً هوائيا فيودع فيه

القول في العسل والربوب كلها

أما عسل النحل فاذا كان جيدا بقى مدة كبيرة لا يتغير ولا يفسد وأما عسل القصب والربوب باجمعها فانه متى كانت فيها رقة ولم تكن نارها زائدة وهي غليظة القوام فانها تفسد وتحمض

السكر الابيض والاحمر

متى حفظ ذلك من النداوة والفار يبقى مدة طويلة وافضل السكر الابيض ماصلب منه وصفا لونه . وأفضل الاحمر ما كان بهذه الصفة وأردأ كل ردئ منه مامال لونه الى السواد وطعمه الى الملوحة

الفواكه اليابسة

كالتين والزبيب والعناب والجوز والفستق واللوز والبندق فان كثرة استعمال الناس لها توجب معرفتهم بها ويستغني بذلك عن وصفها

وأما الفواكه الرطبة فانه متى احتيج الى حفظ شيء منها فى الاسفار أو ما يجري مجراها فانها اذا جعلت في عسل النحل حفظت

اللحم والشحم

اذا احتيج الى ادخار اللحم والشحم لاجل الاسفار أو الحصار أو ماشاكل ذلك فيجب أن يشرح وينقى من العروق والعظام ويجعل عليه ملح قليل ثم يعبي على بلاطة ويوضع عليه لوح ويثقل بأحجار ويترك ست ساعات حتى يتصفى مافيه من الدم والمائية ثم ينشر على حبل في الهواء والظل ست ساعات أيضا ثم يقطع ويقلى فى القدر على النار بالشحم المسلي الذي قد نزع منه سلاه والزيت حتي ينضج ثم يرفع في أوانى فخار من غير أن يكون طرح في الشحم

الذي تملى به ملح ولا ابزار الا الدار صيني فقط وتحكم تغطيته وكذلك الشحم اذا جفف فى الظل بعد أن ينقي من العروق والغدد وينشف حتي لا يبقى فيه نداوة ويرفع من غير أن يملح فانه يبقى مدة . وان سلي الشحم والالية وأسرع فى أن لا يحترق ونزع منه السلا ولم يجعل فيه ملح ولا ابزار ورفع في اناء مدهون فان ذلك يبقى مدة كبيرة . والجبن اليابس يطلى بعكر الزيت وأما القنبريس وهو نوع من الجبن فلا يثبت الا فى البلاد البادرة الشديدة البرد

الحطب والفحم والتبن

هذه الاشياء مما يجب الاعتناء بتحصيلها في ابانها وحفظها لا سيما اذا كانت الحاشية والدواب كثيرة فان ذلك مما يجب أن يصرف الاهتمام اليه وأن لا يغفل أمره ألبتة . فقد قيل انه حصر بعض الحصون وامتنع وكان عند أهله سائر الاقوات فعدموا الحطب فاوقدوا ابوابهم وسقوف بيوتهم فلما نفد سلموا الحصن والقوا بأيديهم لعدم الحطب

وقيل مكتوب على باب مدينة قرطاجنة الحطب القمح الحطب فجعلوا الحطب مرتين والقمح مرة واحدة

فصل في العقار

أما مايم جميعه من محمود الصفات فافضله ماخلص من الاشتراك للراحة من الخصومات والمناظرات ومما ينتج من المداوات وما كانت أصول ملكه سليمة من الغصب والوقف والتحبيس والحكر وهو من أفضل الاموال مع العدل الشامل . والامن الكامل . لانه يجر مالا بصناعة وبغير صناعة

القول في المزدوع

وهو الاملاك الظاهرة وافضلها ماقرب من البلاد الجامعة وكان جيد التربة كثير الماء قليل الخراج مجاورا لاهل السلامة

أما قربها من البلد الجامعة فلتمكنه من مباشرتها بنفسه وتفقد مصالحها فى كل وقت بغير مشقة ولا كلفة سفر ولأمنها من عيث المفسدين واللصوص ولطمانينة من يتولاها من الفلاحين والكرامين

وأما جودة التربة فتظهر من طيب رائحة الارض . وأما لونها فافضل ألوانها السواد أو الحمرة العميقة الكمدية

وأما ذوقها فبأن تكون سالمة من الملوحة السبخية والخشونة الرملية وتبين أيضا جودة الارض بان يحفر موضع منها ثم يعاد التراب المحفور اليه ويملأ به فان فضل من التراب بعد ملئه شيء كثير دل على سمن الارض وقوتها وان كان موازيا لملئه أو فضل شيء يسير أو عجز عنه فكل ذلك يدل على ضعف الارض ورقتها فان كانت تسقي سيحا وكانت المياه مقسمة فبان يكون لها من الوفاء حصة معروفة تزيد وتفضل عما تحتاج اليه وان كانت تسقى من المدود فى أوقات الزيادة فافضلها الارض المتواطئة التى هى غير مستقلة ليؤمن عليها من الغرق ولا معلقة مرتفعة فيخشي عليها العطش . وإن كانت تسقى بالدواليب فبأن تكوون آبارها محكمة البناء غزيرة الماء غير عميقة ولا ضيقة

وأما قلة الخراج فاوضح صلاحا مما يحتاج اليه وكذلك مجاورة أهل السلامة خوفا من جيران السوء

القول في المستقفات التي في بواطن البلاد

أفضلها ما توسط البلد وقرب من الماء والسوق ومنها الحمامات وأفضلها للمالك ما توسط العمارة وكانت مصارف الماء واسعة مستقلة ليؤمن عليها من الاختناق وكانت بيوتها متوسطة مكتنزة ليعمل فيها الوقود وكان مخلعها وقمينها واسعين ليمكن ادخار الكثير من الوقود لها . وان كان ماؤها بدولاب فما قل عمق بئرها فهي أفضل . وان كان ماؤها جاريا فما قرب من جهة الماء ومعظمه والحمامات مكروهة عند محبي الخمول لاشتهار اسم صاحبها وكذلك أيضا الفنادق والارحية وجميع الاربع من الحوانيت والادور وغيرها فيجب على مالكها ان لا يتولى استخراج الاجرة بنفسه ليأمن من اكتساب العداوة والبغضاء من السكان والاستخراج انما هو انتزاع الارواح واخراج الضغائن قال الله تعالى « ولا يسألكم أموالكم ان يسألكموها فيحفكم تبخلوا ويخرج أضغانكم » ولكن يندب لذلك متوليا وينسب انه متقبل أوضامن لتعود اللائمة والتشكي لذلك دونه وان أتى اليه من السكان من يشتكي فقراً متضررا أرفقه وسامحه أو من يسأل النظرة اجابه وأحسن عشرته . ويجب ان تحتاط في شراء الاملاك فلا تشتر الا من ثقة مأمون له ذمة وهو مقيم معك في البلد قاطن لتأمن حيلة تتم عليك في ادعاء رقبة الملك بكتاب حبس متقدم أو صدقة أو مناقلة أو شيء من وجوه التمليكات متقدم العهد وتطلب من البائع كتب الاصول لتكون حجة معك فان لم يدفعها اليك وقال انا أريدها أيضا حجة بيدي بها ساغ لي البيع فتأخذ نسختها وتشهد فيها الشهود . ويجب أن تحتاط في الشهادة وتسأل عن الشهود ان لم تكن خبيرا بهم حتى

تعرف المشهورين بالامانة والنزاهة فى الدين واليسار فتأخذ شهادتهم فان فى اكثر الاوقات يدخل فى الشهود من لا يستحق منزلة العدالة اما لعناية به أوجاه بعض أقاربه ويلبث مدة ثم ربما حدث أمر آخر فاسقط فيضيع كتابك وأما ما يجب تفقده فى المواضع العامرة فأس الحيطان وعقود القناطر والاقباء والاركان التى عليها ثقل البناء ومصارف الماء وما شاكل ذلك فمواقع الحاجة الى ذلك معلومة لا تخفى على الناس

فصل في الحيوان

يجب فى كل ما تشتريه أن لا تعول على أول نظرة فقد قيل أول نظرة سحر . وقيل اتهم نظرك فيما تستحسن حتي يكون الاستحسان على حال واحد لا ينقصه تكرار النظر فان تكرار النظر يجلو كل صدأ فاذا تكرر وثبت فى الاوقات المختلفة على حال واحد في الجمال فهو الجميل حقا فان زاد فهو الغاية القصوى وذلك الذي قصده الشاعر بقوله

يزيدك وجهه حسنا * اذا ما زدته نظرا

وبين نظر الراغب فى الشيء أو المحتاج اليه وبين نظر الزاهد فيه بون بعيد وذلك أن المستغنى عن الشيء ينظر اليه بنظر سالم من الشهوة ويفكر فيه بعقل خالص من الهوى والرغبة وذو الحاجة يستحسن غير الحسن ويهون عنده غير الهين فأول ما يجب فى الاستعراض أن تستنطق الجارية أو المملوك وتخاطبها بصوت خفيّ وفى ذلك يا أخي ثلاث فوائد . الاولى منها انك تعتبر سمعها فان كان فيه ثقل احتاجت ان تستفهم منك . الثانية منها أنها تجيبك فيبين كلامها ان كان سالما من التمتمة والحنة واللثغة واللفف . الثالث منها ان فى تكرار

الكلام والاجوبة يبين لك مقدار عقلها فى معانى ما تورده وتصدره من أسباب بيعها وهل ذلك من جهتها أو من جهة مالكها وما تذكره عن مواليها ثم تتفقد المواضع التى يجب تأملها عند شراء الرقيق

القول في الخيل والبغال والحمير والابل

مما يعم الجميع من الصفات المحمودة الفتاء فان الفتيّ من جميعها الرباع أو القارح خير فى الاستخدام والانتفاع . ومما يعمها أيضا نقاء الظهر وصحة القوائم وجودة الانف واستيفاء العلف وكبر العنق وسعة الصدر وعرض الاوراك وقصر الظهر وما شاكل ذلك

واذا أردت استعراض الفرس فأمر غيرك أن يركبه ويسيره وأنت تراه مقبلا ومدبراً واذا رأيته واسع الفروج من غير فحج فجيد فان الفحج عيب قبيح كما ان الصكك عيب قال الشاعر وهو زهير بن أبي سلمى

وقد أسير أمام الحى تحملني * جرداء لافحج فيها ولا صكك

وتأمل فى وقع حوافره فان وجدته يضع حوافر رجليه موضع حوافر يديه وأزيد قليلا فهو جيد والزيادة الفاحشة والنقصان الفاحش عيب واضح والطرقة الجيدة سبق ثان والقطف عيب فاضح والهملجة فى الخيول العربية عيب . واذا رأيت الفرس في جريه يستعين بمد رقبته وينكس رأسه دل على أن نفسه جيدة وبنية أعضائه ليست مطبوعة ، وآتية على السرعة . واذا رأيته يجرى وهو كالمتشوف فهى صفة محمودة وتبين جودة الفرس في شدة تقريبه كتقريب الذئب بأربعته وهو يتشوف ويلتفت فذاك من الصفات الجيدة . وتأمل أخذ الفرس فى شدة جريه فان كان أخذه أخذا واسعا مع انكماش

فذاك السابق الفائق . والفرس الدنيء بالضد من ذلك فهو اما أخذه واسع مع ابطاء أو ضيق مع انكماش . ويتأمل الفرس فى وقوفه لاسيما عند الراحة من التعب فان وقف على أربعة لم يسترح وتسميه العرب في تلك الحال الصائم فهو جيد وان استراح باحدى رجليه بأن يقيم سنبكه فهو جيد أيضاً وتسميه العرب في تلك الحال الصافن فان استراح بيده يمدها فهو رديء ويدل على عيب فى الصدر

القول في الماشية

وهي البقر والجواميس والغنم والمعز والابل السائمة . اقتناء الماشية على أصنافها صالح حسن نافع مع الامن الشامل وقلة الاعداء وكثرة الناصر وتفقد المالك لها ومراعاته مصالحها فى كل وقت ووجود الاعوان الخبيرين بسياستها وادخار ماترفق به من علوفاتها فى صميم الشتاء وما يصلح رعاتها به من المؤن والكسوة

والماشية تصلح إما لرجل له زرع ومواضع رعي إما في ملكه أو مستأجرة ويقرها فى القرية التى زراعته فيها وله أعوان وكفاة . أو لرجل بدوي يرحل فى طلب المراعى ويسكن بيوت الشعر ويستوطن البر وله عز من عشيرة

وأما غير هذين الرجلين فلن يخطئه فيها مايكمده ويضيق صدره وعلى كل الوجوه فلا مندوحة للفلاح من البقر كما لاغنى للبدوي عن الابل

فصل في اسباب حصول الاموال

جميع أسباب حصول الاموال تأتي من جهتين . إحداهما من طريق

القصد والطلب . والثانية من طريق المصادفة والعرض . فأما ما كان من طريق المصادفة والعرض فهو كمثل المواريث عن الآباء والاهل والاقارب. والعرب تسميه المال التليد وكوجود الخبايا التى لم يبق لها أحد وتسمي الركاز وكذلك كلما يأتي من الفوائد باتفاق . وأما ما كان بطريق القصد والطلب فهو ينقسم الى قسمين إما اكتساب مغالبة أو اكتساب بنوع من الاحتيال ويتخرج أيضا الى نوع ثالث وهو الاكتساب بأمر مركب من مغالبة واحتيال

فصل في اكتساب المغالبة

اكتساب المغالبة ينقسم الى جهتين . احداهما سلطانية . والاخرى خارجية . فأما السلطانية فهي كالجبايات من المكوس والرسوم والخراج والاعشار والصدقات وفيء المشركين وجوالى الذمة وما شاكل ذلك . وأما الخارجية فهى صنفان . أحدهما معلن . والآخر مستتر فأما المعلن فهو قطع الطريق والنهب والغارات وما أشبه ذلك وأما المستتر فكالسرقة

فصل في الاكتساب بانواع الاحتيال

ضروب الاحتيال فى طلب الاكتساب تنقسم الى ثلاثة أقسام وهي إما تجارة . أو صناعة أو أمر مركب منهما

فأما الصنائع فمنها علمية . ومنها عملية . فأما الصنائع العلمية فالفقه والنحو والهندسة وما جرى هذا المجرى . وأما العملية فالحياكة والفلاحة ومشط الصوف والكتان وما جري هذا المجرى مما لايحتاج صانعه فى ادراكه الا الى كثرة المشاهدة والدربة فيثبت رسوم ذلك في نفسه كمثل البهيمة التى عودت

نوعا من الرياضة فعرفته وثبتت رسومه عندها وأما المركبة منهما فكالطب والفروسية والكتابة وما شاكل ذلك

وأما المتاجر فهى تكون كسائر صنوف الاموال من الاعراض وغيرها والتجار ينقسمون الى ثلاثة أصناف فمنهم الركاض . ومنهم الخزان . ومنهم المجهز

وأما مبايعتهم فهم فيها على ثلاثة أوجه . وهى إما سلف مؤجل . أو استسلاف منجم . أو مقارضة فأما المتضمن فلا يعد من التجار وانما هو أجير للمالك والذى يؤمله من الربح إنما هو أجرة له على خدمته وضبطه واستخراجه مال الضمان

والفرق بينه وبين المقارض وهو التاجر الذى يعمل بمال غيره ان المقارض لا درك عليه فى الذمة من خسارة المال الذى يعمل فيه مالم يتجاوز الاماكن التى وقع الاتفاق عليها والضمانات فهى من المعائب الرديئة مالم يساعدها الجاه العريض الكثير

وأما الاشياء المركبة من صناعة وتجارة فكالبزازة والعطارة وما شاكل ذلك لان كل واحدة من هاتين مركبة . أما دخولها فى باب الصنائع فلاجل حاجة البزاز الى معرفة مقادير الامتعة وجيدها ورديئها وغشوش المدلسين فيها . وأما العطار فانه يحتاج الى معرفة العقاقير والادوية والاشربة والطيب وجيد ذلك ورديئه وغشوش المدلسين فيه وما يحول ويفسد بسرعة ومالا يسرع اليه الفساد وما يعتمد فى حفظه واصلاحه وتركيب معاجين وأشربه وسفوفات وجوارشات . والبزاز أيضا يحتاج الى طيّ المتاع ونشره وما يعتمد في حفظه . وأما دخول العطار والبزاز فى باب المتاجرة فلاجل

البيع والشراء والمرابحة ومايجرى هذا المجري

فصل في بيان

« الاكتساب بالامر المركب من المغالبة والاحتيال »

الامور المركبة من المغالبة والاحتيال هى كتجارة السلطان التي تكون فيها الطروح والابتياع والبيع الذى لا يقدر أحد ان يزيد عليه فى حال الشراء ولا يمنع من تحكمه فى البيع

وقد قال بعض الحكماء اذا شارك السلطان الرعية فى متاجرهم هلكوا وان شاركوه فى حمل السلاح هلك

وكذلك أيضاً معاملات ذوي الجاه العريض فى تضمينهم املاك الرعية وسلفهم على الغلات ومنع العامة من البيع والشراء لما يحتاجون الى بيعه وشرائه

فصل في الصنائع

الصنائع مختلفات . ولها درجات متباينات : فمنها ما يرفع أهله ويشرفهم ويغنيهم عند المساجلة والمكاثرة عن كريم المناسب . وشريف المناصب . ومنها مايضع المحترفين به أشد الضعة ويحملهم أقبح الخمول حتى لايكون لاحد منهم نظر فى منزلة ولا كفاءة فى مناكحة وان كان لبعضهم قديم يذكر به وأب معروف يعتزى اليه

وقد قال أمير المؤمنين على بن ابي طالب رضى الله عنه. قيمة كل أمرئ مايحسن . وقال أيضا عليه السلام. الناس أبناء مايحسنونه

فالعلم بالصنائع والعلوم على الاطلاق حسن لكن بعضها أفضل من بعض ويجري التفاضل بينها من وجهين وهما من قبل موضوعها ومن قبل غايتها

مثال ذلك قولنا الطبيب أفضل من النجار. بيان ذلك أن موضوع الطبيب الذى ينظر فيه ويبين أثر صناعته ابدان الناس وموضوع النجار الذي ينظر فيه ويبين اثر صناعته الخشب وابدان الناس أفضل من الخشب . وأما من قبل الغاية فان غاية الطبيب حفظ الصحة الموجودة . واعادة الصحة المفقودة. وغاية النجار تاليف الخشب على الصورة القائمة فى نفسه كالسرير والباب. وحفظ الصحة على الابدان السقيمة أفضل من عمل الباب والسرير . والنجار لا يكاد ينتفع به فى الوقت الواحد الا واحد من الناس . والطبيب ينتفع به فى الوقت الواحد الجماعة الكثيرة من الناس وبهذا المثال يقع التفاضل فى سائر الصنائع

فان قيل فموضوع صناعة المزين والمدلك لأبدان الناس قد ساوى موضوع صناعة الطبيب

فالجواب انهما بغلام الطبيب أشبه . الا ترى أن الملك قد يأمر بقتل أهل الفساد واقامة الحد وينسب ذلك الفعل اليه وان كان المتولي لذلك أخس الرجال ولو اتفق أن يقتل الملك بيده لم يجز أن يقال قد وقع التساوي بين الملك وذلك الرجل لاتفاقهما فى الفعل

والرياسة التى تنال بها الحال الدنيوية مقسومة بين السيف والقلم . فأما رياسة السيف فللملوك والامراء والحجاب وقواد العساكر ووجوه العشائر ورؤساء القبائل . وأما رياسة القلم فللوزراء والكتاب والقضاة والخطباء ومن يجرى مجراهم وأصحاب السيوف هم الحماة . وأصحاب الاقلام هم الكفاة . وكل

صناعة غير هاتين فليس يذكر صاحبها بعز قال الشاعر

لاتطلبن معيشة بمذلة * فلياتينك رزقك المقدور

وقال آخر أيضا يرثى

أيا شجر الخابور مالك مورقا * كأنك لم تجزع على ابن طريف

فتى لايحب الزاد الامن التقي * ولا المال الامن قنى وسيوف

وأما الصنائع العملية وهى المهن فقد قيل قديما. الصناعة فى الكف أمان من الفقر وأمان من الغنى. وذلك أن الصانع بيده لايكاد كسبه يقصر عن عن اقامة مالابدله منه ولايكاد كسبه يتسع لاقتناء ضيعة أو عقدنعمة وأيضا فانه مع ذلك اذا ميز الناس دخل فى أدون طبقاتهم

وأما الصنائع التي كرهتها الحكماء الاخيار فمنها الصنائع المضرة بالعقول والآراء وهى التي يخالط ذووها النساء والصبيان كثيراً ومنها الصنائع المضرة بالادمغة والاجسام مثل معاناة الاشياء المنتنة والسمك والغبار كصناعة الكيال والمغربل والذي يدق الكتان والاعمال الشاقة مثل حمل الاثقال وما شاكل هذا الامر والخدم المهينة التي تكسب العار مثل من يعرض نفسه للصفع والسخرية والاستهزاء والهتار والقيادة فنعوذ بالله من كل شر

فصل في وصايا نافعة لسائر التجار باذن الله عز وجل

كل ما يباع أو يشترى فهو اما مكيل أو موزون أو مذروع أو مقدر بالزمان أو مقدر بالعدد فيحتاج التاجر الى معرفة غشوش الكيالين والوزانين والمساح والعدادين والى العلم باستخراج الساعات الزمانية والمعتدلة واستخراج بعضها من بعض لئلا يقلد غير مأمون . ويجب أن لا يصدق لاحد من

السماسرة قولا ولا يقبل لهم نصحا فانها صناعة مبنية على الكذب ولو كان قد تقدم بينك وبينه أعظم صداقة وآكد جوار فان الدلال تارة يصف البضاعة وجودتها ويباهت أهل الخبرة بها. وتارة يذكر قلتها وأنه لم يبق في البلد منها شيء يباع غير الذي تحت يده. وتارة يذكر أنها ستغلو ويرتفع سعرها. وتارة يذكر أن الراغبين اليه فيها كثير وربما واطأ قوما يأتون اليه بحضرة الزبون يطلبونها ويدفعون اليه العربون ويقيدونه ألا ترى أن الوكلاء يرتبون في حلق البيع من يزيد في البضائع ويوهم الناس والتجار انه مشتر وذلك حيلة على الراغبين ولا يتورعون عن هذا الفعل وان كانوا ممن ينسب الى صلاح وأمانة وذلك أنهم فى صناعة الماهر عندهم فيها من باع بالزيادة وهم يفتخرون بهذا ويشتهون أن يشيع عنهم لانه من أبواب المعيشة

واعلم أن المصدق بغير دليل مقلد والمقلد مذموم عند سائر العقلاء وقابل المحال مخدوع والمخدوع ليس بحكيم والعرب تقول لا رأى للكذوب. وذلك ان المصدق بالمحال يبني تدبيره على حسب ما قيل له فيكون رأيه فاسداً لانه مبنى على الكذب

ويجب ان يحترس أيضا من التصديق باحاديث كثير من التجار فان منهم من اذا أراد شراء بضاعة وانكشف له نفاقها فى بعض البلاد التى يريد السفر اليها حدث وأشاع ان تلك البضاعة في تلك البلد بأثرة قد سقط سعرها وقلّ طالبها ووقع الغنى عنها وربما زور كتابا بخط مجهول وضمنه ذلك وذكر انه وصل اليه من قريب له أو صديق ونصب هو من يشتريها له وربما كان قد تواطأ هو وصاحب له في ذلك الموضع على مثل هذا فقال له اذا كتبت اليك وأنا أقول الله الله احذر أن تشتري البضاعة الفلانية

لكسادها فلا تشترها فاشترها واذا ذكرت لك ان قيمتها عندنا دينار فاعلم انها ديناران فربما وقع الكتاب فى يد غيرك قبل وصوله اليك فانه لا يؤمن ولا يكاد يسلم من ذلك فتفوت الفرصة فيه . ومن التجار من اذا أراد بيع بضاعة عنده وكان عند غيره مثلها وثمنها عشرة دنانير مثلا فانه يتحدث مع التجار انه قد دفع له فيها أحد عشر دينارا ورغب اليه في ذلك فامتنع وأنه طامع في الزيادة فيمتنع غيره من البيع اذا سمع ذلك ويكون الذى بذل له عشرة دنانير ثم يمضي هو ويعقد البيع على متاعه ويتزن ثمنه وربما سأل المشترين ان يذكروا انهم ابتاعوا منه بازيد من السعر فان لامه بعد ذلك القوم الذين غرهم بقوله قال لم أرغب فى البيع لكن قادتنى اليه ضرورة ويعتذر باعذار يصنعها

والتاجر اذا اشترى الاثقال يحتاج الى ان يكون معه أصحاب ثقات وأعوان كفاة يعينونه وقت الشراء ووقت الحزم والحمل ووقت التقليب والبيع فانه ان كان وحيدا تأذي قلبه وجسمه وطمع في سرقة ماله الجمالون والحمالون والبحرية وكل من يجري مجراهم ممن يحتاج الى معونته بسببها فى التنقل . فالاصلح لمن كان وحيدا من التجار ان يعتمد على الخفيف الذي يمكنه الاحتياط عليه بنفسه

وأصل التجارة فى البيع والشراء ان يشتري من زاهد أو مضطر الى أخذ الثمن ويبيع من راغب أو محتاج الى الشراء لان ذلك من أوكد الاسباب الى مكان الاستصلاح فى المشتري وتوفر الربح . ويحتاج التاجر ان يكون معه من سوء الظن مثل ما معه من حسن الظن فانه اذا ساء ظنه كان سببا لحفظ رأس ماله وان حسن ظنه أخطر به وكان ما يخشى عليه زائداً على مقدار ما يرجي له

وليعلم أن افراط الحرص فى طلب الفائدة ربما كان سببا للحرمان وأن شدة الاجتهاد فى طلب الربح طريق الى الخسران . والدليل على ذلك ان بين شراء الراغب الحريص وبين شراء قليل الرغبة الشافى نفسه من كلب الحرص المعتق لها من رق عبودية الشهوة بونا بعيدا وتفاوتا كثيرا وبمثله تكون التجارة لان من اشتد حرصه عمى عن جميع مراشده وفقد الحكمة ومال الى الهوي وعدل عن حكم العقل وخير الامور ما سر عاجله وحسنت عاقبته

ويجب على التاجر اذا رأي البركة فى نوع من الانواع أو جهة من الجهات ان يلزم ذلك الشيء ماخلا مافيه اشراف على خطر أو خوف استدراج فانه قد يكون من قسمة الانسان توفر الحظ له في ذلك النوع

وقد جاء فى الخبر عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قام اليه فى بعض الايام رجل فقال ان معيشته التجارة وهو محارف فيها لا يشتري شيأ الا كسد أو فسد عنده فقال له هل ربحت قط فى شيء اشتريته وتجاسرت به ربحا سررت به فقال ما اذكر انه اتفق لي ذلك الا فى القرض قال فالزم القرض فلزمه فاستغنى وأثري وحسنت حاله فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم فقال «من بورك له في شيء فليلزمه »

ويجب على التاجر ان يعتمد المسامحة فى البيع فانها أحد أبواب المعيشة ومجلبة للرزق وذلك بان يقرر التاجر فى نفسه انه اذا ربح دينارا واحدا مثلا كان نصفه موقوفا على المسامحة إما في وزن أو نقد أو هبة لواسطة أو حطيطة ان سأل المشتري فيها فان المشترى انما باله وذهنه مصروف الى ذلك فان كان التاجر شرها وقال في نفسه قد فرطت فى البيع بربح دينار ولو كنت شددت لكان أربحنى دينارا وربما لانه راغب في الشراء ولكن الرأي الآن أن

استوفى في الوزن جدا وأستخرجه راجحا واستجيد النقد وأتحكم فيه ولا ادفع لسمسار ولا لواسطة شيأ فاذا حدثته نفسه بذلك وفعله وقع الاختلاف اذ كانت الضمائر متباينة وانصرف المشترى عنه ففاته الجميع وعاد يمني نفسه بان يرجع اليه فانتقل من حاصل الى مأمول وليس كان مثل يكون . الا فى رفع الاسماء ونصب الاخبار على ما قرره النحويون .

وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال « السماح رباح » وقال النبي صلى الله عليه وسلم « رحم الله رجلا سمحا قاضيا ومقتضيا بائعا ومشتريا » ومن أمثال العامة قولهم. الدهن يبيع الهريسة

فصل في ذكر محاسن التجارة

التجارة اذا ميزت من جميع المعايش كلها وجدتها أفضل وأسعد للناس فى الدنيا والتاجر موسع عليه وله مروءة ومن نبل التاجر أن يكون في ملكه الوف كثيرة ولا يضره أن يكون ثوبه مقاربا فالذى يتصرف مع السلطان لعله تقصر يده فى بعض الاوقات عن نفقته وهو مع ذلك محتاج الي صقل ثوبه وعمامته وجمال دابته وتنظيف عدتها وسرجها ولجامها وغلامه فان كان جنديا فمؤنته أغلظ وعيشه أنكد وهو عند الناس ظالم وان أنصفهم ومبغض وان تحبب اليهم ومكروه الجوار وان أحسن جواره

ومما لم يسمع من أحد قبل النبي صلي الله عليه وسلم قوله «ما أملق تاجر صدوق» الا أن التجارة مع ماذكرته من فضلها مبنية على الشدة والمصارفة والنظر فى الحقير والمضايقة فى الطفيف ومتى لم يكن التاجر عندهم هكذا كان معيبا

فصل في احد اصناف التجار وهو الخزان

أعلم ياأخي وفقك الله لما يحب ويرضى ان قانون أمر الخزان ان يشتري الشيء في ابانه وتواتر حمله وكثرة البائعين له وقله الطالبين ثم احكام حفظه والتربص به الي اضداد هذه الاشياء اعنى انقطاع وصوله وتعذر حمله وبعد وقته وكثرة طلابه . هذا الصنف من التجار أحوج الناس الى تقديم المعرفة باحوال البضائع في اماكنها وبلادها وكثرتها فيها أو قلتها ورخصها أو غلائها وتوفر ريعها وسلامته أو نقصانه أو عطبه وانقطاع الطريق أو أمنها وذلك باستطلاع الاخبار والتقصي من الركبان فانه مانفقت قط بضاعة من كثرة وانما تنفق من قلتها بالاضافة الي طلابها

وقيل ان عبد الله المأمون بن هارون الرشيد من ولد العباس عم النبي صلي الله عليه وسلم قال يوما لاحمد بن يوسف الكاتب انى أري هذه السنة وما يتناهى من كثرة العمارة فيها ستؤدى الى اتضاع الاسعار ورخصها الى أتم رخص فاكتب عنا الي العمال بالمبادرة ببيع غلات أعمالهم فكتب أحمد بن يوسف كتابا في هذا المعنى فأطاله فلما وقف عليه عبدالله المأمون لم يرضه فقلبه وكتب على ظهره بخطه . أما بعد فان للامور أوائل يستدل بها على أواخرها ومخايل تنبيء عما يؤول الحال اليه عند نافيها وربما كذبت الدليلة واخطأت المخيلة . الا أن الاستظهار سلامة من الاعتذار وان أمير المؤمنين بما علمه من أحوال هذه السنة الدالة على خصبها يرى أن ذلك سبب لاتضاع أسعارها فبادر ببيع غلاتك التي فى عملك آخذا من كل سوق بحظ متناولا من كل سعر بقسط واكتب بما تبيعه في أوقاته مفصلا صفاته واسعاره ونواحيه واسماء تجاره وما منه معجل الثمن ومنجمه

واعلم ان امير المؤمنين يراعى مايرد منك فى هذا الامر ويتوقعه إن شاء الله

ويجب على الخزان اذا استقر في نفسه وصح فى عزمه أن يشترى بضاعة بنقد مائتي دينار مثلاأن يختصر ويقسم هذا الشراء فيجعله فى أربع دفعات وبين كل شرية الى الاخرى خمسة عشر يوما فيكون استكمال شراء تلك البضاعة في مدة شهرين فانه لايخلو الشيء المشترى إما ان يغلو واما أن يرخص أو يثبت على حالة واحدة فاذا اشترى البعض وزاد سعره فقد عرف توجه النفع وتيسر الفائدة ووجب أن يستبشر بذلك ان كان ممن يقنع ويري أن الاخذ بالحزم أفضل من غنيمة الخطر وان رخص فرح من جهتين. احداهما السلامة من تفاوت السعر فى شراء الجملة. والثاني التمكن من شراء المسترخص الجيد. وان بقى على حال واحدة لم يزد ولم ينقص يزدد بصيرة فى قبض مايشتريه ويخزنه فانه لايكاد فيما يهجم على شرائه فى دفعة واحدة أن يسلم الانسان أن تتبع نفسه منه شيأ أهمله وتتطلع الى استدراكه ولذلك تقع المخاصمات والمحاكمات كثيراً فى هذا الفن. ويجب على الخزان أيضاً اعتماد اشياء ان غفل عنها وعن أحكامها فهوفى غموم وأحزان وهموم متصلة مدة حياته لايصفوله معها التذاذ بحياة ولا يهنأ بعيش وذلك ان المقادير قد تأتى بما لايخطر ببال وهي على الامر الاكثر تأتى بخلاف المراد فاذا أطاع الرجل حرصه وركب طمعه وسامر أمانيه فقال أشتري البضاعة الفلانية التى قد استغنى فيها فلان وفلان وسيقل جلبها ويعدم عدما كثيرا فاني قد أخبرت ان القوم الفلانيين قد وقع بينهم وبين بني فلان فى الطريق المسلوك اليها شر والقوافل من البلد الفلانى قد جرت العادة بوصولها في كل سنة لطلبها وسيزيد سعرها مثل ماجرى من حالها فى العام الماضي وان لم أبادر بشرائها سبقنى الى ذلك غيري

وفاز بها دونى مع ماقد بلغنى ان ليس فى المخازن منها الا اليسير. ولا عند الجلابين الا الحقير. فيشتري ما يقدر عليه منها ثم يقعد ينتظر ماوعده أمله فان أمنت الطريق المسلوك اليها وتواصل حملها اغتم وحزن وان بارت ونقص سعرها ندم وسدم. وان تأخر من جرت العادة بوصوله لطلبها أدركته الكآبة وان ظهر له أن فى المخازن كثيرا منها حزن. ودواء ذلك أن يكرر على باله ويشعر خاطره انه يشترى البضاعة بتقدير ويعلم انه لاينتظر بها أحدا من خلق الله عز وجل ولا يهمه مجيئه ولا تأخره فأما اذا ربح الجلابون فى بضاعة فهم يحملون أنفسهم على عظيم الاخطار ولا تضرهم المخاوف فى الطرقات ويكتسبون فى سائر الاحوال من الحقائر وغيرها

وليعلم ان نفاق البضاعة وغلاءها من سعادتها ورخصها وكسادها من منحستها فالخزان انما يجب أن يأخذ البضاعة فى حال كسادها ورخصها ثم يتربص بها الى حين زوال المنحسة عنها وعودة السعادة اليها فان أخذ البضاعة فى حال نفاقها وغلائها ثم تربص بها زوال ذلك ناقض غرضه من غير أن يشعر وقد يمكن أن يزول تعذر البضاعة في مدة قريبة أو بعيدة فيقرر في وهمه وضميره التربص بها مدة طويلة لئلا يكربه الانتظار ويمرضه ويقلقه

ومما يجب على الخزان تأمله أحوال السلطان الذى هو في كنفه وقوة دولته وضعفها وعدله أو جوره وفقره أو غناه فان كان عادلا ودولته ضعيفة الاعداء وجباياته دارّة وأمواله كثيرة فهذه النعمة الشاملة. وان كان عادلا غير أنه ضعيف عن قهر أعدائه فيجتنب شراء الاثقال ويعتمد على الخف الذى يمكنه اخفاؤه وستره أو يطرح الشراء فى تلك السنين ويدخر الدينار وان لم يتهيأ له خوفا من استهلاك النفقة له اعتمد أن يكون شراؤه لما يصلح أن يحمل

الى الديار التى هي آمن وأصلح ليكون ذلك عدة للنجاة ويسافر بها فتكون له حجة يستتر بها ويوري عن نفسه من الهرب أو يسفرها . وان كان السلطان جائراً غير أنه قوي فيكتم بيعه وشراءه ويتظاهر بالفقر ولا يشترى مايعلم أنه يصلح له أو يحتاج اليه وان كان ربحه ظاهرا . وان جمع الجور والفقر والضعف فيجب أن يبادر الانسان بالانتقال عن مملكته فهو أحمد وأحزم في المبدإ والعاقبة

فصل في مايلزم ثاني التجار وهو الركاض

اعلم انه يجب على الركاض أن ينظر أولا فيما يبتاعه فيحتاط فيه ولا يكون فى نفسه بمنزلة من يعده أمله فيه عند وصوله الى البلد الذى يقصده فربما تأخر مسيره أو بطل لاحدي العوائق كخوف الطريق أو تعذر الرياح ان كان سفره في البحر أو لحادث يطرأ في الموضع الذي يقصده فكثيراً مايتفق ذلك للناس فيقاسي بيعه في البلد الذى اشترى فيه وان لم يكن قدم الاحتياط اتضع فيه شيأ كثيرا ولذلك يقول التجار والمسافرون« التبصرة نصف عطية»

ثم يستحب له ان يستصحب معه رقعة بأسعار جميع البضائع في البلد الذي يريد العود اليه مما يجلب من تلك الجهة فاذا اراد أن يشترى شيأ رجع الى الرقعة فنظر الفرق بين سعره فى هذه وسعره فى تلك البلدة وأضاف اليه مايحتاج من المؤن التى تلزم الى حين الوصول ثم يضيف الى ثبت الاسعار ثبتا بمكوس البضائع فان مكوسها تختلف في سائر البلدان ثم يميز الفائدة وكذلك في جميعها

ويجب عليه اذا كان لامندوحة له عن الشراء أو تقديم العودة فى مدة

قريبة ورأي الشيء الذى يوافقه ويصلح له ويتيسر له شراؤه ان يأخذ منه حاجته لانه لا يأمن أن يضغطه السفر ويتفق له من يزاحمه فيه فيخرج عن حده لاسيما اذا علم أن في ذلك الموضع من المسافرين الي البلد الذى يقصده كثيرا منهم وتلك البضاعة مما تصلح لهم ولم يتيسر لهم الثمن إما لتربصهم ببضائعهم بسبب الحرص على الزيادة أو لانها لم تنض من جهة المشترين والوكلاء ويجب على الركاض أيضا اذا دخل بلدة لم يعرفها أن يكون قد تقصي عن الوكيل المأمون والموضع الحريز وما شاكل هذا المعني خوفا أن يقع مع مطول أو أو مدولب قد أشفي على الافلاس فيغرق وهو لا يعرف

فصل فيما يلزم ثالث التجار وهو المجهز

اعلم ياأخى وفقك الله عز وجل ان قانون المجهز ان ينصب له فى الموضع الذي يجهز اليه من يقبض البضائع التي يصدرها اليه ويتولي هذا القابض بيعها وشراء الاعواض عنها ويكون ثقة أمينا مأمونا موسراً قد نصب نفسه للتجارة مع خبرة بها فيكون الحمل اليه وهو المتولي للبيع وله حصة فى الربح فى كل ما يبيعه أو يشتريه وان كسد شيء من السلع ورأى خزنها خزنها وأنفذ اليه ماقد قدم الاحتياط في شرائه وحصله قبل الموسم وتمكن من جودته واصلاحه ثم يعتمد شراء البضائع على حال امهال وتأن وامكان التخير فاي بضاعة لم يتمكن فيها من ذلك التمسه فى غيرها فان الربح بمعونة الله عز وجل موقوف على صلاح الشراء ثم لا ينفذ بضاعة الا مع الاصحاب الثقات الذين يرعونها الى أن يتسلمها المتولي القابض

فصل في التحرز من المطمعين

أما المطمعون فانهم يعترضون أصحاب الاموال بالبشر والاكرام والتحية والاعظام الى أن يأنسوا بهم ويعرفوهم بالمشاهدة وربما قضوا ماقدروا على انجازه من حوائجهم الى ان يألفوهم ويحصل بينهم شبه الصداقة . ثم ان أحدهم يذكر لصاحب المال فى عرض المقال انه قد تعرض فرص مفيدة محمودة العاقبة حاضرة النفع فى الشيء الذى يعانيه ان كانت معيشته فى البز أو الصوف أو العطر أو الزرع أو غير ذلك ويذكر انه تاجر فى ذلك النوع ويقول انني فكرت فيما عليك من المؤن والنفقات والخرج وما تأخذ به نفسك الكبيرة من التوسعة وان هذا الامر يعود بضرر مالم تساعد المكاسب وما غرضى الا التقرب اليك ونصحك وخدمتك وما أريد والله شيأ من هذا المتجر يكون تحت يدى ولا أقبض منه شيأ بوجه من الوجوه ولا بسبب من الاسباب بل يكون ذلك بيدك أو بيد أحد غلمانك أو نوابك حتى لا يستشعر أحد غير ما قصدت اليه ويخرج له فى صورة الناصحين المشفقين المحبين ويكثر عليه السفسطة والكر ويذكر له أصناف الاطماع كلها ويمنيه المحال فاذا استجاب الى ذلك كان أمره معه على أحد قسمين . إما أن يأمنه ويجعل المال تحت يده فيعطيه منه اليسير على صفة انه من الربح ويطاول به الاوقات ويدافع به الزمان ويدفع اليه فى الاحايين الشيء اليسير الحقير ويهون على هذا التاجر المغرور السخين العين انفاقه لطمعه انه من الربح وان رأس المال محفوظ ولا يدرى انه وذلك ينفقان منه حتي يلتقيا على الوسط ثم يحتج عليه ببعض الآفات والشوائب فان لزه صاحب المال واكد فى الطلب قابحه وكاشفه وبرطل

من جملة المال جهات تحميه وتدفع عنه ثم يبكي اليهم ويشتكي ويقول هذا راباني وافقرني واستخدمني وأكل كدي وما أعطاني شيأ ويريد ان يخسرني ويهلكني فان روعي صاحب المال اكتتب له عليه حجة ثم لا يستوفيها الا في الآخرة بين يدي الله عز وجل . وان هو لم يأمنه وعول على ان يكون القبض بيده والمتاع مخزونا عنده واطأ عليه البائعين والمشترين وحصل لنفسه وعمل على مايفوز به فان حال سعر المشترى الى النفاق وحصل لصاحب المال أدنى ربح ولو كان يسيراً حقيراً تبجح بذلك واعتد به عليه وأوهمه أن مفاتيح الارزاق بيده . وان كسد ورخص احال على الاقدار وقال ليس لي علم بالغيب ولا في يد أحد من الامر شيء وما أردت الا الاصلاح ما استطعت وما توفيقي الا بالله عليه توكلت

واعلم يا أخي وفقك الله ان شرا من هؤلاء المطمعين وأشد منهم غائلة القوم الذين يتعرضون لصنعة الكيمياء وهم الطماعون المطمعون في عمل الذهب والفضة من غير معدنيهما فيجب علي كل عاقل من الناس الحذر من التقرب اليهم والاستماع لشيء من حديثهم أبداً والله يكفي كل مسلم أمرهم ان شاء الله

فصل في التحرز من المبرطخين

اعلم أن المبرطخين من شر الخونة والناس بهم اكثر اغترارا وذلك ان صاحب المال اذا ندب أحدهم لشراء حاجة سارع فيها واحتاط في جودتها أتم الاحتياط فيوفر كيلها ان كانت مما يكال ووزنها ان كانت مما يوزن وذرعها ان كانت مما يقاس ثم وضع من أصل ثمنها شيأ فقام به من عنده حتي يظهر لصاحب المال انه شهم عظيم واسترخاصه لما يبتاعه برسمه ونصحه وثقته

وأمانته ونجح مساعيه ويستغش خدمه وثقاته وكذلك ان ندبه لبيع شيء استجاد النقد وأضاف اليه من عنده ما يرجح به الوزن وكذلك ان ندبه لاستخراج أو تخريج ولا يزال هذا دأبه حتي يقرب من قلبه ويحبه ويسكن اليه ويعول فى الكثير عليه فيفوز به ويستقطعه

فصل في التحرز من المخرقين المموهين

أما هؤلاء المخرقون المموهون فانهم يتعرضون لذوى الاموال الكثيرة الواسعة تعرض الاكفاء ويظهرون الكفاية والاستغناء ويباسطونهم مباسطة الاصدقاء ويعتمدون جودة اللباس ويستعملون كثيراً من الطيب ثم ان أحدهم بعد ذلك يذكر لصاحب المال الواسع انه ربح الارباح العظيمة فيما يعانيه ويوهمه بذلك ليصل اليه على غرة ولا يزال ذلك دأبه حتي يستقر فى نفس صاحب المال انه يكسب فى كل سنة الجمل الكثيرة من المال ولا يبالي كيف أنفق وأكل وشرب وجدد وتغني فتشره نفسه لذلك فيقول له على سبيل المداعبة والمجون «يا أبا فلان انت تريد الدنيا كلها لك لم لا تشركنا فى متاجرك هذه وما تجده من الارباح الكثيرة» فيقول له أنت جبان عن اخراج الدينار وتظن انك ان اخرجته خطف ولا تدري انه كالبازى ان أرسلته اكل وأطعمك وان أمسكته لم يصد شيأ واحتجت ان تطعمه والامات وكذلك الدينار ان أمسكته لم تكسب شيأ واحتجت الى ان تنفق منه فيقول له الامر والله كما قلت ولو أشرت على بشيء لم أخالفك فيقول المخرق المموه والله لو كان عندي علم انك تنشط لما هذه سبيله لكنت فعلت معك خيراً كثيرا وكان انضاف الى مالك الجمل الكثيرة الواسعة وينشر له بسط الامانى مد بصره ولكن ما فات لا كلام فيه والعمل فى

المستقبل وسوف يستقر بيني وبينك ما تحمد عاقبته ان شاء الله فيشكره صاحب المال الشكر التام علي هذا القول ويعتقد انه قد فازمتي قبض منه جملة من المال ولا يزال صاحب المال يلزه وهو يمطله باستلام المال ليزداد حرصا ورغبة حتي يسلمه المال فاذا قبضه منه يكون حاله منه مثل حاله مع المطمع اذا صار المال تحت يده

فصل في التحرز من المنمنمين الذين يصيدون الدنيا بالدين

هؤلاء القوم هم أهل الرياء المظهرون التقشف وافراط التنسك ومجانبة الحرام. ومواظبه الصلاة والصيام. لكي يشتهر ذكرهم بذلك عند القضاة والحكام والخواص والعوام . ثم يلقون ذوى المال بالبشر والاكرام . والتلطف في المقال ويغشون ابواب الملوك على صفة التهانى بالاعياد . وبما يأتي من الاولاد. وبالاوبة من الاسفار. والسلامة من الاخطار . ويظهرون الكفاية والغنى ويجعلون الدين سلما الى الدنيا . واكثر اغراضهم ان تودع عندهم الاموال. أو تسند اليهم الوصاية على الايتام . وتبجلهم العوام . وتقبل شهادتهم الحكام . وتندبهم الملوك الي الامانات . والاشراف على المستغلات. وهؤلاء شر من اللصوص والقطاع والمشهورين بالعيث والفساد . وذلك ان شهرة هؤلاء بالشر تدعو الناس الي الاحتراس منهم . وتشبه هؤلاء بأهل الخير يدعو الى الاغترار بهم وقد قيل ان الرياء هو الشرك الاكبر

فصل في حفظ المال

حفظ المال يحتاج الي خمسة أشياء . أولها أن لا ينفق اكثر مما يكتسب

فانه متي فعل ذلك لم يلبث المال أن يفني ولا يبقى منه شيء ألبتة

حكى أن رجلا كان رأس ماله خمسمائة دينار وكان ربحه فى كل عام خمسمائة دينار وكانت نفقته في كل سنة خمسمائة دينار فوقع منه تفريط فى سنة واحدة بزيادة دينارين من النفقة فخرج من رأس ماله وافتقر بعد تسع سنين حتى لم يبق له شيء ألبتة واعتقل فى حبس القاضي على دنانير بقيت عليه مما انفق

بيان هذه القصة انه ضاع منه فى أول سنة ديناران وفى الثانية أربعة دنانير وفي الثالثة ثمانية دنانير وفى الرابعة ستة عشر ديناراً وفي الخامسة اثنان وثلاثون دينارا وفى السادسة أربعة وستون دينارا وفى السابعة مائة وثمانية وعشرون ديناراً وفى الثامنة مائتان وستة وخمسون دينارا وفى التاسعة خمسمائة واثنا عشر دينارا

والثاني ان لا يكون ما ينفق مساويا لما يكسب بل يكون دونه ليبقى ما يكون عنده لنائبة لا تؤمن أو آفة تنزل أو وضيعة فيما يعانيه ان كان تاجرا مثل ان تكسد البضاعة الى ان تقارب الفساد فتباع بخسارة كبيرة أو جائحة على غلته وثمار كرومه وبساتينه وما شاكل ذلك وليس ما ذكرته على ان يقاس كسبه يوما بيوم ينفقه فيه لكن يقيس عاما بعام ونحو ذلك من الزمان الذى فيه طول ويضرب خير الامر بشره فان الكسب تارة يبرد ويقل ثم يعود الي مثل ذلك الدور أو أقل أو اكثر وهذه سبيل النفقات فربما نقصت وربما زادت بحوادث غير مستمرة فافهم ذلك هداك الله عز وجل للخير آمين

الثالث مما يحتاج اليه فى حفظ المال ان يحذر الرجل ان يمد يده الي ما يعجز عنه وعن القيام به مثل من شغل ماله فى قرية يعجز عن عمارتها

أو في ضياع متفرقة لا يمكنه مباشرتها وليس عنده أعوان ولا كفاة يقومون له بها أو يتخذ من الحيوان ما تجاوز النفقة عليه مقدار ماله. وحال من فعل شيأ من ذلك كحال الشره من الناس الذى يأكل مالا تستمريه معدته فان من أكل مالا يستمريه معدته لم يغتذ جسمه بل ربما أخرج من بدنه ما يضر به خروجه منه. ومن تعاطى ما تحوزه طاقته كان خليقا ان لا يفوته الربح فضلا عن أن يذهب رأس ماله. والرابع مما يحتاج اليه في حفظ المال ان لا يشغل الرجل ماله بالشيء الذى يبطيء خروجه عنه وانما يكون ذلك مما يقل طلابه لاستغناء عوام الناس عنه كالجوهر الذى لا يحتاج اليه الا العظماء والملوك وربما يسيء معاملة وسائطهم أو لا ينفق عليهم ومثل كتب الحكمة التي لا يطلبها الا الحكماء والعلماء واكثرهم فقراء وهم مع ذلك قليل وما يجري هذا المجري مما يقل طالبه. وأما ان كان الاكتساب بالارزاق المقررة كالكتاب والجند ومن جري مجراهم أو كالصناع العاملين بايديهم وابدانهم فالسياسة لهم فى اكتسابهم مواصلة العمل والمناصحة فيه وأداء الامانة فان أثر ذلك يظهر عليهم. والخامس مما يحتاج اليه فى حفظ المال ان يكون الرجل سريعاً الي بيع تجارته بطيئا عن بيع عقاره واذ قل فى ذلك ربحه وكثر ربحه في هذا

فصل فيما يجب ان يحذر في انفاق المال

أما انفاق المال فينبغي أن يحذر فيه خمس خصال وهى اللؤم والتقتير والسرف والبذخ وسوء التدبير

فأما اللؤم فهو يأخي الامساك عن أبواب الجميل مثل مواساة القرابة والافضال على الصديق وتفقد ذوى الحرمات وتعاهد أبواب البر مثل

الصدقة على محاويج الناس وكل ذلك على قدر الامكان والوسع والطاقة وأما التقتير فبالتضييق فيما لابد منه ولا مدفع له مثل أقوات الاهل ومصالح العيال . وأما السرف فهو الانهماك فى اللذات واتباع الشهوات . وأما البذخ فهو أن يتعدى الرجل ما يتخذه أهل طبقته وطوره فيما يتغذي به أو ماعساه أن يلبسه طلبا للمباهاة . وأما سوء التدبير فأن لا يوزع نفقته فى جميع حوائجه على التقسيط والاستواء حتي يصرف الى كل باب منها قدر استحقاقه فانه متى لم يفعل ذلك وأسرف فى واحد وقصر فى آخر لم تتشاكل أموره ولم تنتظم أحواله ولم يشبه بعضها بعضا . ومن سوء التدبير أيضاً أن لا يتقدم فى اتخاذ الشيء الذي يحتاج اليه عند كثرته وامكانه والامن من فساد يعرض له فيؤخر ذلك الى حين تدعوه اليه الحاجة مع شدة الاضطرار فيأخذه كيفما اتفق وبما كان من الاثمان ويزول عن حكم الاختيار . ومن سوء التدبير أيضا أن يتقدم في اتخاذ مايحتاج اليه لمدة يفسد فيها كثيرا قبل أوان الحاجة اليه أو يتلف باهماله لصيانته وترك الحوطة عليه فالئيم يؤتى من قبل جهله بالجميل وقلة معرفته بقدره وفضيلته . والمقتر يؤتي من قبل انه لا يعرف أبواب الواجب ويجهل العدل وما فى تركه من النقص . والمسرف يؤتي من قبل ايثاره اللذة على صواب الرأى . فالئيم والمسرف ممقوتان عند الناس لانهما على طرف من الجور . والمسرف مذموم عند الخاصة بجهله وعند العامة بنوع من الحسد له . وصاحب البذخ أسوأ حالا من الجميع لان الئيم والمقتر وان كان الناس يمقتونهما فانهما على حال يرجي أن يحفظ معها مالهما والمسرف وان كان مذموما فهو يربح التمتع بلذاته . وأما صاحب البذخ فلا مال حفظ ولا لذة التذ وأسوأ منه حالا من كان سيء التدبير لانه انما يؤتي من قبل انه لا يعرف مقادير

النفقة ولا أوقاتها فمن عرف أبواب الجميل ورغب فيها وأبواب الحق اللازم ولم يخل بها واقتصر فى الانفاق على لذاته ولم يتعد طوره وأهل طبقته وفهم مقادير مايستحق كل باب مما يحتاج اليه وأنفق فيه بقدر استحقاقه ولم يزد في باب فيضطر الى أن يقصر فى آخر وعرف أوقات الحاجة الى كل شيء فلم يقدم اتخاذ شيء يفسد أو يضيع قبل أوان الحاجة اليه ولم يؤخر شيأ قد قرب وقت الحاجة اليه فيكون اتخاذه اياه على حال اعجال واضطرار أو يفوت أوان الحاجة اليه فيكون اتخاذه بعد ذلك باطلا أو يعز فلا يجده الا بالغلاء فان ذلك أى القائم بهذه الاعمال منسوب الى الكرم والسخاء والاتساع والبر والمواساة والقصد والحزم وحسن التدبير . ومن كان كذلك وكانت غلته أو ربح ماله أو جاريه عن خدمته تقوم بمؤنته ونفقة عياله ويفضل له بعد ذلك فضل يصرف بعضه فى أبواب البر التي تقدم وصفها وبعضها يدخره لزمانه ونوائب دهره فينبغي أن لايطلب اكثر من ذلك فان طلبه لاكثر من هذا شره

فصل في الاحتياط فيما ينفق

الاحتياط فيما ينفق هو بان يشتري ماتدعو اليه الحاجة من الاقوات من بيادرها وقت كثرتها وتوفر جلبها كالحنطة والشعير والقطاني وغير ذلك من الادم كالعسل والسمن والشحم وما أشبه ذلك والكثير من الحطب ويحتاط عليه ويخزنه فى مواضع مفردة ويطلق للعائلة منه فى كل شهر بقدر مايحتاجون اليه ويستظهر فى الحنطة والشعير والحبوب بأن يخزن مايحتاج اليه من ذلك لسنتين كاملتين أبدا لما لايؤمن من جوائح الغلات والحصارات وما جرى مجراها ويعتمد فى الكسوة الاحتياط أيضا بان يشتريها فى عنفوان

جلبها وكثرة بائعيها وقلة طالبيها ويبتاع كسوة الشتاء فى الصيف وكسوة الصيف فى الشتاء . ويعتمد الاحتياط فى الابنية والمرمات فيحصل الخشب والقصب والجير والحجارة وسائر الآلات على ماتقدم ذكره من شروط الاحتياط في الابنية ويستعمل الصناع في الاوقات المختصة بطول النهار أو اعتداله . ويشترى ماتدعو اليه حاجته من الرقيق والكراع في وقت الغلاء ونفاق الاقوات وفى ذلك الوقت يشتري الاملاك من الأدور والفنادق وما يجري هذا المجري . فأما المزارع والارحية والافران فلا يشتريها الا عند الرخص وتكامل الرخاء ويشتري أيضا أصناف السلاح وقت الامن والسلم والدعة

فصل في موقع الحاجة الي صيانة المال

لابد من شهامة النفس القوية . والاخلاف المحمودة المرضية والقناعة التي هى على صيانة الوجه معينة ومن العناية بصيانة المال وحفظه وتميزه إذهو العدة على اتساق التدبير والراغب فى الدنيا والزاهد فيها لايستغنيان عن طلب مالابد منه في إقامة الحياة من المال مع معرفة الجميع أنها لم تعط الا أخذت ولم تسر الا احزنت ولم تنصف الا ظلمت وانها تطرق بطرف نعمة وتنبه برائع نجعة كاشرة مرة تقبل متعرفة وتصد متنكرة تدرج الآمال وتنشر الآمال فبهذا عرفها الخلق وعلى هذا صحبت والمال ربما ذهب باضعف سبب وقد قيل لافقير أفقر من غني يأمن الفقر

وأوصى بعض الحكماء ولده فقال يابني عليك بطلب العلم وجمع المال فان الناس طائفتان خاصة خالصة وعامة رعاع . فالخاصة تكرمك للعلم والعامة تكرمك للمال . واعلم انه قل شيء لم يزدد الانقص والنقصان يلحق

الكثير كما تلحق الزيادة القليل

وفى كتاب كليلة ودمنة .ان صاحب الدنيا يطلب ثلاثة أمور لا يدركها الا باربعة أشياء فاما المطلوبات الثلاثة فالسعة فى المعاش . والمنزلة فى الدنيا والزاد فى الآخرة . وأما أسبابها الاربعة فاكتساب المال من معروف وجوهه وحسن القيام عليه وعلى ما اكتسب منه . والتمييز له . وانفاقه فيما يرضي الاهل والاخوان وما يعود فى الآخرة نفعه . فمن أضاع شيا من هذه الخلال الاربع لم يدرك ما أراد فاذا لم يكتسب ولم يكن له مال لم يعش ولم يعش به واذا كان ذا مال وذا اكتساب ولم يحسن القيام عليه أوشك أن يفنى وإن هو انفقه ولم يثمره لم تمنعه قلة الانفاق من سرعة النفاد كالكحل الذي لا يؤخذ منه الا مثل الغبار ثم هو سريع النفاد وان هو اكتسب وثمر وأصلح وأمسك عن الانفاق في ابوابه ومواضعه الواجبة حقا كان فقيرا كالذي لا مال له ثم لا يمنع ذلك ماله أن يغادره ويذهب حتى لا يدرك منه شيأ كالحوض الذى لا يزال ينصب الماء فيه فاذا لم يكن له مغيض ومخرج خرج من اماكن شتى فذهب ضياعا

فصل في النهي عن اضاعة المال والتفريط فيه

كتب بعض الادباء الي أخ له ورث مالا جليلا فصحب قوما لا خير فيهم ولا خلاق لهم « أما بعد فاني اراك قد همجلت فيما كنت أحب أن تعنق فيه وألنت جناحا للتصابى وملكت نفسك من أصفيتهم ودك واحببتهم بكل قلبك ودخلت مدخلا لا ارك تقوي عليه وسلكت مسلكا قد أضل من هو أحزم منك فعند انكشاف الغمرات تعلم من الصريع غدا ووقت الحقيقة

ينهزم المخذول واعلم أن الايام تنجلي عنك أخبث انجلاء وتدعك حليف جهل أليف خطأ فارجع رحمك الله قبل أن تدرك الندم . واحذر انقضاء لذة لاتتم كأنك كنت فى حلم ومل عن الداعى وفر حيث لا ينفعك رفيق . ولا يغشاك صديق . بل يتركونك سليب نعمتك وفقيد شهوتك وقرين ندامتك . وجليس فكرتك . قد ذهب مالك . وتغيرت أحوالك . وكثر عذالك . وانت لاهى القلب مشغول الذهن مختل الفكرة فان تسمع وتصنع رجوت ان تفعل والا فاني واياك كما قال الشاعر

لقد أسمعت لو ناديت حيا * ولكن لا حياة لمن تنادى

واعلم يامغرور أن من تصحبهم يقصدون صحبتك برفق وحذق . وأنت تصحبهم بسلامة وخرق . فاحذر واياك الاكتراث بقولهم « الله يعلم كيف محبتنا لك يامولانا وسيدنا ومن نحن خدمه وغلمانه ومماليكه يا أملنا وسرورنا واكثر همنا ومن لا يطيب عيشنا الا به ياأسخى البشر واكرم الخلق وأظرف الناس ياذا الهمة السنية والصدر الواسع ومن ليس للدنيا والدرهم عنده قيمة ياأسخى من الريح وأزكى من النسيم وأحسن من القمر وأضوأ من الشمس وأرق طبعاً من الهواء ياغاية فى كل فضل . ومثلا في كل شكل » . وألوانا من التملق والتودد والتقرب والتحبب والتعطف وهذا الكلام ياأخي طبطاب النفقة ومنجنيق العطب وعرادة الافلاس وأبو رياح الطير والسخرية فارجع عما أنت فيه والا أقمت فقيرا حائراً وكيف لا يكون ذلك وهم يمدون لك فى الامل وأنت تنفق الجمل . وهيهات ان تستعيد ما قد ذهب الي ان يحشر الناس ضحى أو لا تعلم انه ما أدبر شيء فاقبل وان المال تستنفده النفقة وتخربه المعصية وتفرقه اللذة وعند تفريغك الصدر تعرف الخبر وقد نصحتك ان قبلت

النصيحة ولا خير فى قوم لم يكونوا ناصحين وان مثل من عذل جاهلا على جهله وزجره عن خطئه مثل من أسرج فى الشمس أو من غني عند رأس ميت أو كلم صورة يريد منها الجواب وقد شرحت لك ما يفعل الجاهل بنفسه وسيء عاقبته والسلام »

ومن رسالة لبعض الادباء

احذر أن تخرج من يدك درهما حتى تري في يدك ما هو خير منه فان رمل عالج لو أخذ منه ولم يزد عليه ذهب عن آخره . وجبال أصبهان انما تفنى بالهباء الذي يتعلق بالاميال . اني أحذرك ياأخى مصارع المخدوعين . وأرفعك عن مضاجع المغترين دعنى من حكايات المتشاكلين ورقى الخداعين . فما زال الناس يحفظون أموالهم عن مواضع السرف ويجتنبونها وجوه التبذير نخد فيما تعلم ودعنا مما لا تعلم هل رأيت أحدا قط أنفق ماله على قوم كان غناهم سبب فقره سلم عليهم حين افتقر فردوا عليه السلام أو لست قد رأيتهم بين محق له ومحتجب عنه ثم لعل بعضهم ان يتجنى عليه ذنوبا يجعلها عذرا لمنعه وسبباً لحرمانه قال الشاعر

لحفظ المال خير من لغات * وسير في البلاد بغير زاد

واصلاح القليل يزيد فيه * ولا يبقي الكثير مع الفساد

وأصيب روزنامج لبعض الفرس مكتوب على ظهره . العاقل يصون ماله كما يصون حرمه ويغار عليه كما يغار عليهن واذا فعل ذلك حمد أمره وسعد جده

قال مؤلف هذا الكتاب كنت جالساً يوما بطرابلس الشام في السوق فاذا مع المنادي فضة مكسرة وفي جملتها درهم حرق صحيح وزنه يزيد على

مثقال على أحد وجهيه صورة ثور وفي الوجه الآخر صورة فارس على فرس مسرج ملجم فى نهاية الحسن وعلي الوجهين كتابة لا أعرفها فاشتريت الفضة من المنادي وبقى الدرهم فى يدي أقلبه فرآه مني رجل من أهل العلم عجمي فقال أنا أعرف هذه السكة وهى من ضرب بلاد الهند ويتعامل بها في غزنة وانشدنى اشعاراً قيلت في هذا الدرهم بالعجمية ثم قال وترجمة المكتوب بالهندية في الوجه الذي عليه صورة الفرس هي « من حفظ هذا الدرهم فلم يخرجه الا في وجه لازم بمقتضى العقل والدين فمثله كمثل الفارس تحته الجواد المطواع واقتداره على التصرف حيث أراد . وترجمة المكتوب على الوجه الذى عليه صورة الثور . ومن أضاعه وفرط فيه ولم يعرف قدره فمثله كمثل الثور في عدم التمييز وكونه لا يدرى أين يذهب ولا أين يذهب به »

وكتب بعض الادباء الى ولده . حفظك الله يابنى أما بعد فكن مع الناس كلاعب الشطرنج احفظ شيئك وخذ شيء غيرك من وجه حق يوجب لك أخذه فان مالك ان خرج من يدك لم يعد اليك وانما يصير فى عدد مامضي وعاد وثمود وأصحاب الرس واعلم ان الدينار كالمحموم فاذا صرفته مات ومن مات فقد فات واعرف بيت شعر قد شتت مائة الف عن أوطانهم وهو

فسر فى بلاد الله والتمس الغني * تعش ذايسار أو تموت فتعذرا

واحذر يابنى ان تلحقهم فتكون كهم والسلام

وقيل ان من لم يحسن أن يمنع لم يحسن ان يعطي ولا يقل مع الاصلاح شيء ولا يبقى مع الفساد شيء وليحتط من ابتاع فانما يغبن عقله لا درهمه

وقال بعض الحكماء ليس للحازم ان يشغل نفسه وفكره بما ذهب منه الا أن يكون على سبيل اعتبار ولكن ينبغى ان يعتنى بحفظ ما بقى

سئل افلاطون لم تقتنى المال وأنت شيخ فقال لأن يموت الانسان فيخلف مالا لاعدائه خير من ان يحتاج فى حياته الى ولده واصدقائه ورأى سقراط فتى بذر أمواله وحصل على أن يأكل الزيتون فقال له لو اقتصرت على ان يكون هذا أكلك . لما كان هذا أكلك .

وقال زياد لو أن لى الف الف دينار ولى بعير أجرب لقمت عليه قيام من لا يملك شيأ غيره ولو ان عندى عشرة دراهم لا أملك غيرها ولزمنى حق لوضعتها فيه . وقال عتبة ابن كثير

الناس أتباع من دامت له النعم * والويل للعبد ان زلت به القدم
المال زين ومن قلت دراهمه * حي كمن مات الا انه صنم
لما رأيت اخلائى وخالصتي * والكل مستتر عني ومحتشم
أبدوا جفاء واعراضا فقلت لهم * أذنبت ذنبا فقالوا ذنبك العدم

وقال غيره فى هذا المعني

وكان بنو عمي يقولون مرحباً * فلما رأوني معدما مات مرحب
كأن مقلاً حين يغدو لحاجة * الى كل من يلقى من الناس مذنب

وكما يقال كما ان الجدة فى الغربة وطن كذلك الفقر لذوي الوطن غربة

وقال بعض العلماء اذا وقع في يدك شيء فاحذر أن تخدع عنه فانك تكون مالكا فتعود مملوكا . فان فات وخرج من يدك فلا تظهر الكمد عليه فلو قدر لك لم يعدك

وقال بعض الحكماء ان تثمير المال آلة المكارم وعون على الدين ومتألف الاخوان وان من فقد ماله قلت الرغبة فيه والرهبة منه ومن لم يكن بموضع رغبة ولا رهبة استهان الناس به

وقال خالد بن يزيد المهلبي لابنه وهو يوصيه عند موته .. أنت غلام لسانك فوق عقلك وذكاؤك فوق حزمك لم تعجمك الضراء ولم تزل فى سراء . والمال واسع وذرعك ضيق وليس شيء أخوف عليك عندى من حسن الظن بالناس فانهم والله يابنى يخدعون شمالك عن يمينك وسمعك عن بصرك تخف عباد الله على حسب ماترجو الله وأول ماوقع فى روعي أن الله سيحفظ عقبي من بعدي ويقدمني على خير ان شاء الله وذلك أنى غلبتني شهوتي يوما فأخرجت ديناراً لقضاء وطري فوقعت عينى على سكته وعلى اسم الله عز وجل المكتوب عليه فقلت في نفسي اني لمن الخاسرين الضالين ان أنا أخرجت من يدي ديناراً من الذهب الاحمر . عليه اسم الاله الا كبر لااله الا الله محمد رسول الله واعتضت به اثما في الآخرة وشهوة تعقب ندامة في الدنيا والله ان المؤمن ينزع خاتمه لامر يريده وعليه حسبي الله أو توكلت على الله فيظن انه خرج من كنف الله عزوجل حتى يرد الخاتم وانما هو خاتم واحد وأنا أريد ان أخرج كل يوم دراهم على كل درهم منها الاسلام كله ولا يجب اخراجها الا فيما اجتمع أن يكون لله تعالى فيه رضي ولي فيه مصلحة وفعلت ذلك وأمسكت عن شهوتى وأنا أرجو أن هذا الفعل حسنة يرزقنى بها الله الجنة ثم مات

قال الجاحظ قلت لعبد الله الخزامى انك يا أخي قد رضيت بقول الناس عبد الله بخيل فقال لا أعدمنى الله هذا الاسم قلت وكيف ذلك قال لانه لا يقال بخيل الا وهو ذومال فسلم الى المال وادعني بما شئت قلت ولا يقال سخي الا وهو ذومال فقد جمع هذا الاسم المال والحمد وجمع ذلك الاسم المال والذم .فقال بينهما فرق قلت هاته قال في قولهم بخيل اثبات

لاقامة المال فى ملكه وفي قولهم - سخي إخبار عن خروج المال عن يده والمال نافع ومكرم ولاهله معز والحمد ريح وسخرية واستماعه ضعف وفشولة وما أشد والله غناه عن الحمد اذا جاع بطنه وعرى جلده وشمت به عدوه

وقيل خذ من إقبال الدنيا لادبارها فان الله تبارك وتعالى يرزق فى يوم لايام

وقال الكندى لحفظ المال بنيت الحيطان وغلقت الابواب واتخذت الصناديق وعملت الصيانات والاقفال . ونقشت الرشوم والخواتيم وتعلمت الناس الكتابة والحساب فلم يتخذوا هذه الوقايات دون المال وأنتم آفته وسوسه . يعنى بذلك ما يجلبه الانسان على نفسه من كثرة العائلة لان العيال سوس المال

وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال «قلة العيال أحد اليسارين» وقيل لبعض الحكماء مابال مالك لا ينمو وأنت مجتهد فى تثميره فقال لانى قدمت العيال قبل المال. وقال بعض العلماء لا مال لأخرق ولا عيلة على مصلح وخير المال ما أطعمك لاما أطعمته والرقيق جمال وليس بمال

وقال لقمان الحكيم لابنه يابني شيآن ان أنت حفظتهما لاتبال ما صنعت بعدهما ابدأ بدينك لمعادك ودرهمك لمعاشك . وقال الكميت بن زيد لأبان بن ثعلبة لا تخبر الناس بفقر وان مت هزالا فان الفقير لا يعبأ به ولا يلتفت اليه

وقال الحكيم اذا افتقر الرجل اتهمه من كان له مؤتمنا وأساء به الظن من كان ظنه به حسنا ومن نزل به الفقر فلا بد له من ترك الحياء ومن ذهب حياؤه ذهب بهاؤه . وليس من خلة هي للغني مدح الا هى للفقير عيب فان كان الفقير شجاعا سمى أهوج . وان كان جوادا قيل مفسد وان

كان حليما سمي ضعيفا وان كان وقوراً سمي بليداً وان كان لسنا سمى مهذارا وان كان صموتا سمى عييا

وقال عبد الله بن المعتز شعرا

يارب جود جر فقر امرء * فقام في الناس مقام الدليل

فاشدد عرى مالك واستبقه * فالبخل خير من سؤال البخيل

ومن وصية أوصي بها بعض الملوك اليونانيين ولده. اعلم أنك تملك الاموال ما ملكت فيها حسن التدبير فاذا جانبته وسلكت في السيرة سبيل الاضاعة كثرت الرغبة اليك فيما لا يأذن الرأى فيه واحتج عليك عائبك بما فرط منك واكتنفك من خاصتك مالا تدفعه الا باكثر مما تبذله واعلم أن حاصل المملكة اذا كان بازاء مؤنها كانت كالسفينة وسط البحر الذى قد أحكم امرها على هدوه ولم يؤمن عليها من الغرق في اهتياجه واذا كان حاصلها دون ما يلزم لها حملت قومها على فتح المماطلة وعدلت بهم عن تدبير أمرها في المطالبة بالعاجل منها وأخطرت بدمائهم وأموالهم وكان ما يجرى من سعيهم مفسدا لامرهم في مستقبل الزمان وهذا أقبح ما يستعرض . وأما ان كان حاصلها اكثر مما يلزم لها فاوضح صلاحا من ان يحتاج الى تمثيل أو تعديد فقد شبه بعض متقدمينا ما كان حاصلها اكثر مما يلزم له باجساد الاحداث التى توجد بالنمو زائدة على ما كانت عليه وما كان حاصله مكافئا لما يلزم له باجساد الكهول التي قد ارتفع النمو منها مقاومة صورة الانحلال وما كان حاصله مقصرا عما يلزم له باجساد من هرموا من المشايخ فان الانحلال مستول عليها والتماسك بعيد منها وكما أن الاجساد الهرمة قريبة من الموت والبلى فكذلك الاموال التي ما يخرج منها اكثر مما يستفاد قريبة من الفناء

واعلم ان اكبر آفات المال شيئان يعتقد هما الجاهل بقدره من ملاكه أحدهما أن حق المال الانفاق وأن مالكه ان لم يصرفه فيما تطلع نفسه اليه من شهواته فى حياته والاحظى غيره بما بقى منه بعد وفاته . والثانى مايرجوه من سرعة الخلف فى انفاقه . وهذان الاعتقادان فاسدان الا فى اليسير لانه ليس حق مامالك من المال الانفاق فان كان انفاق ماتدعو الحاجة اليه حسن المعني لكن فى المال قوة سماوية تصرف قلوب الناس الي صاحبه وتحملهم على تعديله وتكميله والثقة به في جميع اموره ومتصرفاته ومعه تنزيه صاحبه عن التذلل وصيانته من رق الحاجة وانما مثل المال لصاحبه كمثل فضل القوة للانسان متي احتاج اليها منعت منه وان استغني عنها صانها الى أوان المدافعة عنه ولم يتهيأ له العمل فى افسادها وإصلاحها واخلافها وليس من حق نعمة الله عز وجل عليه فيه أن يجعل ما جناه منه ذريعة الى خلافه فيسلط عليه شهواته المؤذية ورذائله ولذاته المختلفة وبسطته ولكنه يأنس بحسن مجاورته له يصرف الى ما اكتنفه من حقوق الله سبحانه وتعالى سعيه منه فان لحقه أجله لم يضره من صار اليه بعده وأما التأميل بسرعة خلف ما ينفق منه فانما يرجى عند انفاق ماقاد الحق الى انفاقه وتكفلت الشريعة بالمثوبة عليه فى محنة تلحق صاحبه فيه أو اعانة لذوي فاقة بشيء منه وأما ماخرج عن هذا فاولى الامور بصاحبه ان ينتقل عن انتظار خلفه الى تجديد التوبة مما انفق والاقلاع عنه

واعلم ان انفاق الاموال يحي موات ما انصرف اليه ويعظم صغيره فان كان فى عائد المملكة كان كالماء المنصب الى الاشجار المثمرة والمزارع الزكية التي تخصب بمصلحتها الديار وتمرع البلاد وان كان في غير عائدها اشبه مايضر

نباته ولا ينفع ريعه فكن كالطبيب الحاذق الذي يضع الدواء حيث يكون الداء يحسن فيه اثرك ويطول به استمتاعك

ومن وصايا بعض التجار لولده . يابنى اعلم أن رأس المال خير من الربح ويحفظ الاصول تثمر الفروع وكل من خسر فى طلب الربح كان اجتهاده وأكثر ما يستهلك الاموال الطمع ومسامرة الامانى والآمال الكاذبة وائتمان الخونة ومعاملة النسأ بغير جاه ولا رهن والاغترار بالمزورين والمبرطخين وتصديق المخرقين والقول من غير برهان ولا بيان . فاول مايجب على العاقل اعتماده استشعار القناعة وحسم الطمع والاقتصار من العائلة والنفقات على مالا مندوحة عنه ولا يحفظ الصحة أقل منه ليقل شرهه ويضعف حرصه وشدة اجتهاده لان هذه من الاسباب التي تنقص العقل وتضعف الرأى وتوهن العزم ولذلك قيل لايستعرض شيأ من الاشياء ذوفاقة اليه فان العريان يستوفق كل طمر يدفئه ويستره والجائع يستلذ كل طعام يشبعه وكذلك الشبق لايستقبح مايعن له فاذا فعل ماذكرته صار مختارا بعد ان كان مضطرا واعترضته الرغائب فتخير أفضلها وأحمدها عاقبة

واعلم أن الانفاق يشبه المحتال عليك الذي يعطيك القليل لتعتمد عليه في الكثير فيضيعه . واعلم ان الحدة لاتكاد تهدى الى صاحبها صديقا فيه خير والشدة لاتكاد تهدي الى صاحبها صديق سوء وينبغى للعاقل ان يخدم فى شبابه لزمان شيخوخته كما يخدم في الصيف لزمن الشتاء قبل هجومه

واعلم أن كساد السلع أسهل من مقامها فى ذمة المنكسرين والمضطرين والمحتالين لان المحتال يستميلك بالزيادة فى الربح ليحوزها وانما يعطيك قولا لايصلح بفعل قد صح له ويعوضك من حسن محاورته الجرى فى ميدان

المواعيد فان كان الحلف مع هذا سهلا عليه والحياء بعيدا منه احتجت الى ما يقابل هذا بما يزين صورتك عند الناس من الصيانة والستر وليس يعدل هذا شيء من مصائب السعي

فان بليت بملابسة سلطان فاحذر أن يراك الا بعين الاعظام له والحذر منه والاعتماد عليه في مطالبة معاملتك بحسن المداراة ولطف التأني وأخذ الامور بالرفق واحذر ان تدخل باحد متهم اليه الا بعد أن تعجز جميع حيلك كلها فيه وأثبت مكارم اخوانك واصحابك ومن أحسن اليك في الدهر مرة كما تثبت ديون معامليك واخلص من ذلك بحسن المكافأة

والله عز وجل أسأل توفيقك وصلاحك فى دينك ودنياك

واشكر الله تعالى على ما أوصله اليك من النعم جعلك الله

ممن يحفظ ويعمل ولا جعلك ممن ينسى ويهمل

والله الموفق للصواب وليكن ذلك آخر

الكتاب والحمد لله وحده وصلى

الله على سيدنا محمد وآله

وصحبه وسلم

(قال مصححه)

يقول بعضهم إن العرب لم يشتغلوا بفن الاقتصاد التجارى والسياسي وما زالت الايام تكشف لنا من آثارهم مايدل على انهم لم يتركوا فنا من الفنون الا بحثوا فيه ولا علما الاطرقوا بابه . وخاضوا عبابه. وقد عثر صديق لنا في إحدي مكاتب دمشق على نسخة من هذا الكتاب الجامع لاحسن مطالب الاقتصاد والمشتمل على أحسن الطرق المؤدية الى استثمار رؤس الاموال واهداها لنا لنقوم بطبعها الا انا وجدناها محرفة تحريفا ماكان يتيسر لنا معه طبعها لو لم ننبأ بوجود نسخة صحيحة فى المكتبة الخديوية وصلت اليها من احدي مكاتب الشام أيضا منذ بضع سنين ولم يرد اسمها فى الفهرس الخاص بالمكتبة بعد فعنى صديقنا المومى اليه بمقابلتها على هذه النسخة وتصحيحها أتم اعتناء حتى تيسر لنا ابرازها الآن في بردها القشيب الي عالم المطبوعات ولكنا لم نعثر على ترجمة للمؤلف وتاريخ كتابة النسخة يدل على ان مؤلفه من افاضل الباحثين فى القرون الاولى اذ جاء فى النسخة الثانية التي وجدت فى المكتبة الخديوية مانصه . تم كتاب الاشارة . فى محاسن التجارة . بفضل الله وحمده وصلى الله على محمد نبيه وكان الفراغ منه عند صلاة الظهر من نهار يوم الأثنين السادس من شهر رمضان المعظم سنة سبعين وخمسمائة غفر الله لكاتبها ولما لكها آمين يارب العالمين ولاحول ولا قوة الا بالله العلى العظيم اه

وعلى كل فان هذا الكتاب يدل على أن اسلافنا عنوا بكثير من الفنون التي لم نقف الآن على كتبهم فيها فرحمهم الله وعفا عن خلفهم الذين أضاعوا كل شيء وفقدوا كل شرف فاصبحوا في تقليد الاجنبي كالببغا ينطق بما يملي عليه حسنا كان أو قبيحا ولله الامر

فهرست كتاب الاشارة . في محاسن التجارة

﴿ للشيخ أبي الفضل جعفر بن على الدمشقى رحمه الله ﴾

صحيفة		صحيفة	
٢	فصل فى بيان حقيقة المال	١٨	اللازورد
٣	فصل فى مدح الغنى بكثرة المال	١٨	الجزع
٤	فصل فى موضع الحاجة الي المال الصامت	١٩	فصل فيه القول فى الطيب
٦	فصل فيما يمتحن به المال الصامت فيعلم جيده من رديئه	١٩	العنبر
٩	فصل فى الاعراض	١٩	الكافور
١٠	فصل فى المعرفة بالقيمة المتوسطة لسائر الاعراض	٢٠	العود
١٢	فصل فى جيد الاعراض ورديئها	٢٠	القرنفل
١٣	القول فى الجوهر	٢٠	السنبل والاذخر
١٤	الياقوت	٢٠	الصندل
١٥	الزمرذ	٢١	الزعفران
١٥	الماس	٢١	القول فى السقط الكبير
١٦	الفيروزج	٢١	البقم
١٧	المرجان	٢٢	الفلفل
١٧	العقيق	٢٢	اللبان
		٢٢	المصطكى
		٢٣	دارصينى الطعام
		٢٣	الأل

صحيفة		صحيفة	
٢٣	الزنجبيل	٨٢	القول فى الحديد والنحاس والرصاصين والزئبق
٢٣	الزرنباد	٢٩	القول فى الاقوات ومايجري مجراها
٢٣	الخولنجان	٢٩	القول فى تخير المخزن
٢٣	القسط	٣٠	الدقيق
٢٣	اللاذن	٣٠	الزيت
٢٤	الاهليلجات	٣٠	الخل
٢٤	الكاغد	٣١	الصابون
٢٤	الكتان	٣١	القول فى العسل والربوب
٢٤	القطن	٣١	السكر الابيض والاحمر
٢٥	الصوف وشعر المعز	٣١	الفواكه اليابسة
٢٥	الابريسم	٣١	اللحم والشحم
٢٥	القول فى الديباج	٣١	الحطب والفحم والتبن
٢٥	السقلاطون والعتابي والمصمت	٣٣	فصل فى العقار
٢٦	الخز	٣٤	القول فى المزدرع
٢٦	الدبيقى والشرب	٣٥	القول فى المسقفات
٢٦	الاوداري	٣٦	فصل فى الحيوان
٢٧	النعماني والابراد	٣٧	القول فى الخيل والبغال والحمير والابل
٢٧	اللبود	٣٨	القول فى الماشية
٢٧	البسط والطنافس		
٢٨	المناطر والاشلة		

صحيفة	
٣٨	فصل فى أسباب حصول الاموال
٣٩	فصل فى اكتساب المغالبة
٣٩	فصل فى الاكتساب بانواع الاحتيال
٤١	فصل فى بيان الاكتساب بالامر المركب من المغالبة والاحتيال
٤١	فصل فى الصنائع
٤٣	فصل فى وصايا نافعة لسائر التجار
٤٧	فصل فى ذكر محاسن التجارة
٤٨	فصل فى أحد أصناف التجار وهو الخزان
٥١	فصل فيما يلزم ثاني التجار وهو الركاض
٥١	فصل فيما يلزم ثالث التجار وهو المجهز
٥٣	فصل فى التحرز من المطمعين
٥٤	فصل فى التحرز من المبرطخين
٥٥	فصل فى التحرز من المخرقين المموهين
٥٦	فصل فى التحرز من المتمنين الذين يصيدون الدنيا بالدين
٥٦	فصل في حفظ المال
٥٨	فصل فيما يجب ان يحذر فى انفاق المال
٦٠	فصل فى الاحتياط فيما ينفق
٦٢	فصل في موقع الحاجة الي صيانة المال
٦١	فصل فى النهى عن اضاعة المال والتفريط فيه
٦٤	رسالة لبعض الادبا
٧١	ومن وصايا بعض التجار لولده

التحفة العراقية

في

الأعمال القلبية

للشيخ الامام العلامة خاتمة السلف وقدوة الخلف شيخ
الاسلام أبي العباس تقي الدين احمد بن عبد الحليم
المشهور بابن تيمية المتوفي سنة ٨٢٨ هجرية

عنيت بنشرها وتصحيحها ومقابلتها على أصولها للمرة الأولى

ادارة الطباعة المنيرية

لصاحبها ومديرها محمد منير عبده أغا الدمشقي

(بمصر بشارع الكحكيين نمرة ١)

حقوق الطبع بالتعليق محفوظة الى

ادارة الطباعة المنيرية

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله نستعينه ونستغفره ونعوذبالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادى له ونشهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له ونشهد أن محمداً عبده ورسوله صلى الله عليه وآله وسلم*

أما بعد فهذه كلمات مختصرة فى أعمال القلوب التي تسمي المقامات والأحوال وهى من اصول الايمان وقواعد الدين مثل محبة الله ورسوله والتوكل على الله واخلاص الدين له والشكر له والصبر على حكمه والخوف منه والرجاء له وما يتبع ذلك اقتضى ذلك بعض من اوجب الله حقه من اهل الايمان واستكتبها وكل منا عجلان *

فأقول هذه الأعمال جميعها واجبة على جميع الخلق المأمورين في الاصل باتفاق ائمة الدين، والناس في هذا على ثلاث درجات كما هم في اعمال الأبدان على ثلاث درجات ظالم لنفسه ومقتصد وسابق بالخيرات فالظالم لنفسه العاصى بترك مأمور وفعل محظور . والمقتصد المؤدى الواجبات والتارك المحرمات . والسابق بالخيرات المتقرب بما يقدر عليه من واجب ومسنون والتارك للمحرم والمكروه وان كان كل من المقتصد والسابق قد يكون له ذنوب تمحى عنه بتوبة والله يحب التوابين ويحب المتطهرين. واما بحسنات ماحية واما بمصائب مكفرة واما بغير ذلك وكل

من الصنفين المقتصدين والسابقين من اولياء الله الذين ذكرهم في كتابه (ألا ان اولياء الله لاخوف عليهم ولا هم يحزنون الذين آمنوا وكانوا يتقون) فاولياء الله هم المؤمنون المتقون ولكن ذلك ينقسم الى عام وهم المقتصدون وخاص وهم السابقون وان كان السابقون هم أعلى درجات كالأنبياء والصديقين وقد ذكر النبي صلى الله عليه وآله وسلم القسمين في الحديث الذى رواه البخارى فى صحيحه عن ابى هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وآله وسلم انه قال «يقول الله من عادلى وليا فقد بارزنى بالمحاربة وما تقرب الىّ عبدى بمثل اداء ما افترضت عليه ولا يزال عبدي يتقرب الى بالنوافل حتي احبه فاذا احببته كنت سمعه الذى يسمع به وبصره الذى يبصر به ويده التي يبطش بها ورجله التى يمشى بها فبى يسمع وبى يبصر وبى يبطش وبى يمشى ولئن سألني لأعطينه ولئن استعاذنى لاعيذنه وما ترددت عن شيء انا فاعل ترددى عن قبض نفس عبدى المؤمن يكره الموت واكره مساءته ولابد له منه» وأما الظالم لنفسه من اهل الايمان ففيه من ولاية الله بقدر ايمانه وتقواه كما معه من ضد ذلك بقدر فجوره. فالشخص الواحد قد يجتمع فيه الحسنات المقتضية للثواب والسيئات المقتضية للعقاب حتى يمكن ان يثاب ويعاقب وهذا قول اصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وائمة الاسلام واهل السنه والجماعة الذين يقولون انه لايخلد في النار من في قلبه مثقال ذرة من ايمان . وأما القائلون بالتخليد كالخوارج والمعتزلة القائلون انه لايخرج من النار من دخلها من أهل القبلة وانه لاشفاعة للرسول ولا لغيره في اهل الكبائر لا قبل دخول النار ولا بعدها فعندهم لا يجتمع في الشخص الواحد ثواب

وعقاب وحسنات وسيئات بل من أثيب لا يعاقب ومن عوقب لم يثب ودلائل هذا الاصل من الكتاب والسنة واجماع الامة كثير ليس هذا موضعه قد بسطناه في موضعه. وينبني على هذا امور كثيرة ولهذا من كان معه ايمان حقيقي فلا بد ان يكون معه من هذه الأعمال بقدر ايمانه وان كان له ذنوب كما رواه البخاري في صحيحه عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه « ان رجلا كان يسمي حمارا وكان يضحك النبي صلى الله عليه وسلم وكان يشرب الخمر ويجلده النبي صلى الله عليه وسلم فاتي به مرة فقال رجل لعنه الله ما اكثر ما يؤتى به الى النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقال النبي صلى الله عليه وسلم لا تلعنه فانه يحب الله ورسوله » فهذا بين ان المذنب بالشراب وغيره قد يكون محبا لله ورسوله وحب الله ورسوله أوثق عرى الايمان كما ان العابد الزاهد قد يكون لما في قلبه من بدعة ونفاق مسخوطا عند الله ورسوله من ذلك الوجه كما استفاض في الصحاح وغيرها من حديث علي ابن أبي طالب وأبي سعيد الخدري عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم انه ذكر الخوارج فقال « تحقرا حدكم صلاته مع صلاتهم وصيامه مع صيامهم وقراءته مع قراءتهم يقرؤن القرآن لا يجاوز حناجرهم يمرقون من الاسلام كما يمرق السهم من الرمية اينما لقيتموهم فاقتلوهم فان في قتلهم اجرا عند الله لمن قتلهم لئن ادركتهم لاقتلنهم قتل عاد » وهؤلاء اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم مع امير المؤمنين علي بن ابي طالب بامر النبي صلى الله عليه وسلم. وقال النبي صلى الله عليه وسلم فيهم في الحديث الصحيح « تمرق مارقة على خير فرقة من المسلمين يقتلهم أدنى الطائفتين » ولهذا قال ائمة المسلمين كسفيان الثوري ان البدعة احب الى ابليس من

المعصية لان البدعة لا يتاب منها والمعصية يتاب منها. ومعنى قولهم ان البدعة لا يتاب منها ان المبتدع الذى يتخذ دينا لم يشرعه الله ورسوله قد زين له سوء عمله فرآه حسنا فهو لا يتوب مادام يراه حسنا لان اول التوبة العلم بان فعله سيء ليتوب منه او انه ترك حسنا مأموراً به امرا ايجاب او امر استحباب ليتوب ويفعله فما دام يري فعله حسنا وهو سيء في نفس الأمر فانه لا يتوب ولكن التوبة ممكنة وواقعة بان يهديه الله ويرشده حتي يتبين له الحق كما هدى سبحانه وتعالى من هدى من الكفار والمنافقين وطوائف أهل البدع والضلال وهذا يكون بان يتبع من الحق ماعلمه فمن عمل بما علم اورثه الله علم مالم يعلم كما قال تعالى (والذين اهتدوا زادهم هدى وآتاهم تقواهم) وقال (ولو انهم فعلوا مايوعظون به لكان خيراً لهم واشد تثبيتا واذا لآتيناهم من لدنا اجراً عظيماً ولهديناهم صراطا مستقيما) وقال تعالى (ياأيها الذين آمنوا اتقوا الله وآمنوا برسوله يؤتكم كفلين من رحمته ويجعل لكم نورا تمشون به) وقال تعالى (الله ولى الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات الى النور) وقال تعالى (قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين يهدى به الله من اتبع رضوانه سبل السلام) الآية . وشواهد هذا كثيرة في الكتاب والسنة . وكذلك من أعرض عن اتباع الحق الذى يعلمه تبعا لهواه فان ذلك يورثه الجهل والضلال حتى يعمى قلبه عن الحق الواضح كما قال تعالى (فلما زاغوا ازاغ الله قلوبهم) الآية. وقال تعالى (في قلوبهم مرض فزادهم الله مرضا) وقال تعالى (وأقسموا بالله جهد ايمانهم لئن جاءتهم آية ليؤمنن بها قل انما الآيات عند الله وما يشعركم انها اذا جاءت لا يؤمنون ونقلب افئدتهم وأبصارهم)

الآية وهذا استفهام نفي وانكار اى وما يدريكم انها اذا جاءت لايؤمنون وانا نقلب افئدتهم وابصارهم كما لم يؤمنوا به اول مرة على قراءة من قرأ إنها بالكسر تكون جزما بانها اذا جاءت لايؤمنون ونقلب افئدتهم وابصارهم كما لم يؤمنوا به اول مرة ولهذا قال من قال من السلف كسعيد بن جبير ان من ثواب الحسنة الحسنة بعدها وان من عقوبة السيئة السيئة بعدها. وقد ثبت في الصحيحين عن ابن مسعود رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال « عليكم بالصدق فان الصدق يهدى الى البر وان البر يهدي الى الجنة ولا يزال الرجل يصدق ويتحرى الصدق حتي يكتب عند الله صديقا وإياكم والكذب فان الكذب يهدى الى الفجور وان الفجور يهدى الى النار ولا يزال الرجل يكذب ويتحرى الكذب حتى يكتب عند الله كذابا » فاخبر النبى صلى الله عليه وسلم ان الصدق أصل يستلزم البر وان الكذب يستلزم الفجور . وقد قال تعالى (ان الابرار لفي نعيم وان الفجار لفى جحيم) ولهذا كان بعض المشائخ اذا امر متبعيه بالتوبة واحب ان لاينفر ويتعب قلبه أمره بالصدق. ولهذا يكثر فى كلام مشائخ الدين وائمته ذكر الصدق والاخلاص حتي يقولون قل لمن لايصدق لايتبعني ويقولون الصدق سيف الله في الارض ماوضع على شيء الاقطعه ويقول يوسف بن اسباط وغيره ماصدق الله عبد الاصنع له وأمثال هذا كثير. والصدق والاخلاص هما تحقيق الايمان والاسلام فان المظهرين الاسلام ينقسمون الى مؤمن ومنافق فالفارق بين المؤمن والمنافق هو الصدق كما في قوله (قالت الأعراب آمنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا) الى قوله (انما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم

يرتابوا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله اولئك هم الصادقون).
وقال تعالى (للفقراء المهاجرين الذين أخرجوا من ديارهم وأموالهم
يبتغون فضلا من الله ورضوانا وينصرون الله ورسوله اولئك هم
الصادقون) فأخبر ان الصادقين في دعوى الايمان هم المؤمنون الذين
لم يتعقب ايمانهم به وجاهدوا في سبيله باموالهم وأنفسهم وذلك ان هذا
هو العهد المأخوذ على الأولين والآخرين كما قال تعالى (واذ أخذ الله
ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق
لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه قال أأقررتم وأخذتم على ذلكم
إصري) الاية. قال ابن عباس مابعث الله نبيا الا اخذ عليه الميثاق لئن
بعث محمد وهو حي ليؤمنن به ولينصرنه وأمره ان يأخذ الميثاق على
أمته ليؤمنن به ولينصرنه. وقال تعالى (لقد أرسلنا رسلنا بالبينات
وأنزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط وأنزلنا الحديد فيه
بأس شديد ومنافع للناس وليعلم الله من ينصره ورسله بالغيب ان الله
قوى عزيز)فذكر تعالى انه انزل الكتاب والميزان وانه انزل الحديد لاجل
القيام بالقسط وليعلم الله من ينصره ورسله ولهذا كان قوام الدين بكتاب
يهدى وسيف ينصر وكفى بربك هاديا ونصيرا والكتاب والحديد وان
اشتركا في الانزال فلا يمنع ان يكون احدهما نزل من حيث لم ينزل الآخر
من حيث نزل الكتاب من الله كما قال تعالى (تنزيل الكتاب من الله العزيز
الحكيم) وقال تعالى (كتاب أحكمت آياته ثم فصلت من لدن حكيم
خبير) وقال (وانك لتلقى القرآن من لدن حكيم عليم) والحديد أنزل
من الجبال التي يخلق فيها وكذلك وصف الصادقين في دعوى البر الذى

هو جماع الدين في قوله (ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيين) الى قوله (اؤلئك الذين صدقوا واؤلئك هم المتقون) واما المنافقون فوصفهم بالكذب فى آيات متعددة كقوله (في قلوبهم مرض فزادهم الله مرضاً ولهم عذاب اليم بما كانوا يكذبون) وقوله (اذا جاءك المنافقون قال نشهد انك لرسول الله والله يعلم انك لرسوله والله يشهد ان المنافقين لكاذبون) وقال (فاعقبهم نفاقا في قلوبهم الى يوم يلقونه بما اخلفوا الله ماوعدوه وبما كانوا يكذبون) ونحو ذلك من القرآن كثير *

ومما ينبغى أن يعرف ان الصدق والتصديق يكون في الأقوال والاعمال كقول النبى صلى الله عليه وآله وسلم في الحديث الصحيح « كتب على ابن آدم حظه من الزنا فهو مدرك ذلك لامحالة فالعينان تزنيان وزناهما النظر والاذنان تزنيان وزناهما السمع واليدان تزنيان وزناهما البطش والرجلان تزنيان وزناهما المشى والقلب يتمنى ويشتهى والفرج يصدق ذلك ويكذبه» ويقال حملوا على العدو حملة صادقة اذا كان ارادتهم القتال ثابتة صادقة ويقال فلان صادق الحب والمودة ونحو ذلك . ولهذا يريد بالصادق الصادق في ارادته وقصده وطلبه وهو الصادق في عمله ويريدون الصادق في خبره وكلامه والمنافق ضد المؤمن الصادق وهو الذى يكون كاذبا فى خبره أو كاذبا فى عمله كالمرائى فى عمله . قال الله تعالى (ان المنافقين يخادعون الله وهو خادعهم واذا قاموا الى الصلاة قاموا كسالى يراؤن الناس) الآيتين ☆

وأما الاخلاص فهو حقيقة الاسلام اذ الاسلام هو الاستسلام

لله لا لغيره كما قال تعالى (ضرب الله مثلا رجلا فيه شركاء متشاكسون ورجلا سلما لرجل هل يستويان) الآية . فمن لم يستسلم له فقد استكبر ومن استسلم لله ولغيره فقد أشرك وكل من الكبر والشرك ضد الاسلام والاسلام ضد الشرك والكبر . وذلك فى القرآن كثير . ولهذا كان الاسلام شهادة ان لا اله الا الله وهى متضمنة عبادة الله وحده وترك عبادة ماسواه وهو الاسلام العام الذى لا يقبل الله من أحد من الأولين والآخرين دينا سواه كما قال تعالى (ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه وهو فى الآخرة من الخاسرين) وقال (شهد الله انه لااله الا هو والملائكة وأولوا العلم قائما بالقسط لااله الا هو العزيز الحكيم ان الدين عند الله الاسلام) وهذا الذى ذكرنا مما بين ان أصل الدين في الحقيقة هو الأمور الباطنة من العلوم والاعمال وان الاعمال الظاهرة لاتنفع بدونها كما قال النبى صلى الله عليه وسلم فى الحديث الذى رواه احمد فى مسنده «الاسلام علانية والايمان في القلب» ولهذا قال النبى صلى الله عليه وسلم « الحلال بين وبين ذلك امور مشتبهات لايعلمهن كثير من الناس فمن اتقي الشبهات استبرأ لعرضه ودينه ومن وقع في الشبهات وقع في الحرام كالراعى يرعى حول الحمى يوشك ان يقع فيه الاوان لكل ملك حمي الاوان حمى الله محارمه الاوان في الجسد مضغة اذا صلحت صلح الجسد كله واذا فسدت فسدلها سائر الجسد وهى القلب» وعن ابى هريرة قال « القلب ملك والأعضاء جنوده فاذا طاب الملك طابت جنوده واذا خبث خبثت جنوده »

فصل

وهـذه الاعمال الباطنة كمحبة الله والاخلاص له والتوكل عليه والرضا عنه ونحو ذلك كلها مأمور بها فى حق الخاصة والعامة لا يكون تركها محمودا في حال واحـد وان ارتقى مقامه وأما الحزن فـلم يأمر الله به ولا رسـوله بل قد نهى عنه فى مواضع وان تعلق امر الدين به كقوله تعـالى (ولا تهنوا ولا تحزنوا وانتم الاعلون ان كنتم مؤمنين) وقوله (ولا تحزن عليهم ولاتك فى ضيـق مما يمكرون) وقوله (اذ يقول لصاحبه لا تحزن ان الله معنا) وقوله (ولا يحزنك قولهم) وقوله (لكيلا تأسوا على مافاتكم ولا تفرحوا بما آتاكم) وأمثال ذلك كثيرة . وذلك انه لايجلب منفعة ولا يدفع مضرة ولا فائدة فيه ومالافائدة فيه لايأمر الله به نعم لايأثم صاحبه اذا لم يقترن بحزنه محرم كما يحزن على المصائب كما قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم « ان الله لا يؤاخذ على دمع العين ولا حزن القلب ولكن يؤاخذ على هذا ويرحم واشار بيده الى لسانه وقال تدمع العين ويحزن القلب ولا نقول الامايرضى الرب » ومنه قوله تعالى (فتولى عنهم وقال يا أسفى على يوسف وابيضت عيناه من الحزن فهو كظيم) وقد يقترن بالحزن مايثاب صاحبه عليه ويحمـد عليه ويكون محمودامن تلك الجهة لا من جهة الحزن كالحزبن على مصيبة في دينه وعلى مصائب المسلمين عموما فهذا يثاب على ما في قلبه من حب الخير وبغض الشر وتوابع ذلك ولكن الحزن على ذلك اذا أفضى الى ترك مأمور من الصبر والجهاد وجلب منفعة ودفع مضرة منهى عنها والا كان حسب صاحبه رفع الاثم عنه من

جهة الحزن واما ان افضى الى ضعف القلب واشتغاله به عن فعل ما امر الله ورسوله به كان مذموما عليه من تلك الجهة وان كان محمودا من جهة أخرى. واما المحبة والتوكل والاخلاص له ونحو ذلك فهذه كلها خير محض وهي حسنة محبوبة في حق كل النبيين والصديقين والشهداء والصالحين ومن قال ان هذه المقامات تكون للعامة دون الخاصة فقد غلط في ذلك ان اراد خروج الخاصة عنها فان هذه لايخرج عنها مؤمن قط وانما يخرج عنها كافر ومنافق. وقد تكلم بعضهم بكلام بين غلط فيه (١) وانه تقصير في تحقيق هذه المقامات من مدة وليس هذا موضعه ولكن هذه المقامات ينقسم الناس فيها الى خصوص وعموم فللخاصة خاصها وللعامة عامها مثال ذلك ان هؤلاء قالوا ان التوكل مناضلة عن النفس في طلب القوت والخاص لايناضل عن نفسه وقالوا المتوكل يطلب بتوكله امرا من الامور والعارف يشهد الأمور بفروعها منها فلا يطلب شيئا فيقال اما الأول فان التوكل اعم من المتوكل فى مصالح الدنيا فان المتوكل يتوكل على الله في صلاح قلبه ودينه وحفظ لسانه وارادته وهذا اهم الأمور اليه ولهذا يناجى ربه فى كل صلاة بقوله (اياك نعبد واياك نستعين) كما في قوله (فاعبده وتوكل عليه) وقوله (عليه توكلت واليه أنيب) فهو قد جمع بين العبادة والتوكل فى عدة مواضع لان هذين يجمعان الدين كله ولهذا قال من قال من السلف ان الله جمع الكتب المنزلة في القرآن وجمع علم القرآن في المفصل وجمع علم المفصل في فاتحة الكتاب وجمع علم فاتحة الكتاب فى قوله

(١) هكذا الاصل فليتأمل فيه والمعنى من حيث هو ظاهر

(اياك نعبد واياك نستعين) وهاتان الكلمتان الجامعتان اللتان للرب والعبد كما في الحديث الصحيح الذى في صحيح مسلم عن ابى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال « يقول الله سبحانه قسمت الصلاة بيني وبين عبدى نصفين نصفها لى ونصفها لعبدى ولعبدي ما سأل قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول العبد الحمد لله رب العالمين يقول الله حمدنى عبدى يقول العبد الرحمن الرحيم يقول الله اثنى علىّ عبدى يقول العبد مالك يوم الدين يقول الله مجدنى عبدى يقول العبد اياك نعبد واياك نستعين يقول الله فهذه الآية بيني وبين عبدى ولعبدى ما سأل يقول العبد اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين انعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين يقول الله فهؤلاء لعبدى ولعبدى ما سأل » فالرب سبحانه له نصف الثناء والخير والعبد له نصف الدعاء والطلب وهاتان جامعتان ما للرب سبحانه وما للعبد فاياك نعبد للرب واياك نستعين للعبد وفي الصحيحين عن معاذ رضى الله عنه قال (كنت رديفا للنبى صلى الله عليه وسلم على حمار فقال يا معاذ اتدري ما حق الله على العباد قلت الله ورسوله أعلم قال حق الله على العباد ان يعبدوه ولا يشركوا به شيئا وحق العباد على الله ان لا يعذب من لا يشرك به» والعبادة هى الغاية التي خلق الله لها العباد من جهة امر الله ومحبته ورضاه كما قال تعالى (وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون) وبها ارسل الرسل وانزل الكتب وهي اسم يجمع كمال الحب ونهايته وكمال الحب لله ونهايته فالحب الخلى عن ذل والذل الخلى عن حب لا يكون عبادة وانما العبادة ما يجمع كمال الأمرين ولهذا كانت العبادة

لا تصلح الا لله وهى وان كانت منفعتها للعبد والله غنى عنها فهى له من جهة محبته لها ورضاه بها ولهذا كان الله اشد فرحا بتوبة العبد من الفاقد لراحلته عليها طعامه وشرابه في الارض دوية مهلكة اذا نام آيسا منها ثم استيقظ فوجدها فالله أشد فرحا بتوبة عبده من هذا براحلته وهذا يتعلق به أمور جليلة قد بسطناها وشرحناها في غير هذا الموضع والتوكل والاستعانة للعبد لانه هو الوسيلة والطريق الذى ينال به مقصوده ومطلوبه من العبادة فالاستعانة كالدعاء والمسئلة. وقد روى الطبرانى في كتاب الدعاء عن النبى صلى الله عليه وسلم قال « يقول الله يا ابن آدم انما هى اربع واحدة لى وواحدة لك وواحدة بيى وبينك وواحدة بينك وبين خلقى فاما التي لى فتعبدنى لا تشرك بى شيئا واما التى هى لك فعملك اجازيك به احوج ما تكون اليه واما التى بينى وبينك فمنك الدعاء وعلى الاجابة واما التى بينك وبين خلقى فأت للناس ما تحب أن يأتوا اليك وكون هذا لله وهذا للعبد هو اعتبار تعلق المحبة والرضاء ابتداء فان العبد ابتداء يحب ويريد ما براه ملائما له والله تعالى يحب ويرضى ماهو الغاية المقصودة في رضاه وحبه الوسيلة تبعا لذلك والا فكل مأمور به فمنفعته عائدة على العبد وكل ذلك يحبه الله ويرضاه وعلى هذا فالذى ظن أن التوكل من المقامات العامة ظن أن التوكل لا يطلب به الاحظوظ الدنيا وهو غلط بل التوكل في الامور الدينية أعظم. وأيضا التوكل في الامور الدينية التى لا تتم الواجبات والمستحبات الا بها والزاهد فيها زاهد فيما يحبه الله ويأمر به ويرضاه والزهد المشروع هو ترك الرغبة فيما لا ينفع في الدار الآخرة وهو

فضول المباح التى لا يستعان بها على طاعة الله كما أن الورع المشروع هو ترك ماقد يضر في الدار الآخرة وهو ترك المحرمات والشبهات التى لا يستلزم تركها ترك ما فعله أرجح منها كالواجبات فاما ماينفع في الدار الآخره بنفسه أو على ما ينفع في الدار الآخرة فالزهد فيه ليس من الدين بل صاحبه داخل في قوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا لا تحرموا طيبات ما أحل الله لكم ولا تعتدوا ان الله لا يحب المعتدين) كما ان الاشتغال بفضول المباحات هو ضد الزهد المشروع فان اشتغل بها عن واجب أو فعل محرم كان عاصيا والا كان منقوصا عن درجة المقربين الى درجة المقتصدين وأيضا فالتوكل هو محبوب لله مرضى مأمور به دائما وما كان محبوبا لله مرضيا مأمورا به دائما لا يكون من فعل المقتصدين دون المقربين فهذه ثلاثة أجوبة عن قولهم المتوكل لا يطلب حظوظه ☆

وأما قولهم الأمور قد فرغ منها فهذا نظير ماقاله بعضهم في الدعاء انه لاحاجة اليه لان المطلوب ان كان مقدراً فلاحاجة اليه وان لم يكن مقدرا لم ينفع وهذا القول من أفسد الاقوال شرعا وعقلا وكذلك قول من قال التوكل والدعاء لا يجلب به منفعة ولا يدفع به مضرة وانما هو عبادة محضة وان حقيقة التوكل بمنزلة حقيقة التفويض المحض وهذا وان كان قاله طائفة من المشائخ فهو غلط أيضا وكذلك قول من قال الدعاء انما هو عبادة محضة فهذه الاقوال وما أشبهها يجمعها أصل واحد وهو أن هؤلاء ظنوا ان كون الأمور مقدرة مقضية يمنع أن يتوقف على أسباب مقدرة أيضا تكون من العبد ولم يعلموا ان الله سبحانه يقدر الامور ويقضيها بالأسباب التى جعلها معلقة بها من أفعال العباد وغير أفعالهم ولهذا كان طور قولهم

يوجب تعطيل الاعمال بالكلية وقد سئل النبي صلى الله عليه وآله وسلم عن هذا مرات فأجاب عنه كما أخرجاه في الصحيحين عن عمران بن حصين قال «قيل لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أعلم أهل الجنة من أهل النار قال نعم قالوا ففيم العمل قال كل ميسر لما خلق له» وفي الصحيحين عن على بن ابى طالب قال «كنا في جنازة فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم فجلس ومعه محصرة فجعل ينكت بالمحصرة في الارض ثم رفع رأسه وقال ما من نفس منفوسة الا وقد كتب مكانها من النار أو الجنة الا وقد كتبت شقية او سعيدة قال فقال رجل من القوم يانبي الله افلا نمكث على كتابنا وندع العمل فمن كان من اهل السعادة ليكونن الى السعادة ومن كان من اهل الشقاوة ليكونن الى الشقاوة قال اعملوا فكل ميسر لما خلق لها أما اهل السعادة فييسرون للسعادة واما اهل الشقاوة فييسرون للشقاوة ثم قال نبى الله صلى الله عليه وسلم (فأما من أعطى واتقى وصدق بالحسنى فسنيسره لليسرى وأما من بخل واستغنى وكذب بالحسنى فسنيسره للعسرى)» أخرجه الجماعة فى الصحاح والسنن والمسانيد. وروى الترمذي «أن النبى صلى الله عليه وآله وسلم سئل فقيل يا رسول الله أرأيت أدوية نتداوى بها ورقى نسترقى بها وتقى نتقيها أترد من قدر الله شيئا فقال هي من قدر الله» وقد جاء هذا المعنى عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم في عدة أحاديث فبين صلى الله عليه وآله وسلم أن تقدم العلم والكتاب بالسعيد والشقى لا ينافى أن تكون سعادة هذا بالاعمال الصالحة وشقاوة هذا بالأعمال السيئة فانه سبحانه يعلم الأمور على ما هي عليه وكذلك يكتبها فهو يعلم

أن السعيد يسعد بالأعمال الصالحة والشقى يشقى بالاعمال السيئة فمن كان سعيداً ييسر للاعمال الصالحة التى تقتضى السعادة ومن كان شقياً ييسر للاعمال السيئة التي تقتضى الشقاوة كلاهما ميسر لما خلق له وهو ما يصير اليه من مشيئة الله العامة الكونية التى ذكرها الله سبحانه في كتابه في قوله تعالى (ولايزالون مختلفين الا من رحم ربك ولذلك خلقهم) وأما ما خلقوا له من محبة الله ورضاه وهو إرادته الدينية وأمر بموجباتها فذلك مذكورة في قوله « وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون » والله سبحانه قد بين في كتابه في كل واحدة من الكلمات والأمر والارادة والاذن والكتاب والحكم والقضاء والتحريم ونحو ذلك مما هو دينى موافقة لمحبة الله ورضاه وأمره الشرعي وما هو كونى موافق لمشيئته الكونية. مثال ذلك انه قال في الأمر الدينى (ان الله يأمر بالعدل والاحسان وايتاء ذى القربى) وقال تعالى (ان الله يأمركم أن تؤدوا الامانات الى أهلها) ونحو ذلك. وقال فى الكونى (انما أمره اذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون) وكذلك قوله (وإذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها ففسقوا فيها فحق عليها القول) على احدى الاقوال في هذه الآية وقال في الارادة الدينية (يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر يريد الله ليبين لكم ويهديكم سنن الذين من قبلكم ويتوب عليكم والله عليم حكيم مايريد الله ليجعل عليكم من حرج ولكن يريد ليطهركم)وقال في الارادات الكونية (ولو شاء الله ما اقتتلوا ولكن الله يفعل مايريد) وقال (فمن يرد الله ان يهديه يشرح صدره للاسلام ومن يرد ان يضله يجعل صدره ضيقا حرجا كأنما يصعد في السماء) وقال نوح عليه السلام (ولاينفعكم

نصحى ان أردت أن أنصح لكم ان كان الله يريد أن يغويكم)وقال(انما أمره اذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون)وقال في الاذن الدينى(ما قطعتم من لينة أو تركتموها قائمة على أصولها فبأذن الله) وقال في الكونى(وما هم بضارين به من أحد الا بإذن الله)وقال في القضاء الدينى (وقضى ربك الا تعبدوا الا إياه)أى أمر. وقال في الكونى (فقضاهن سبع سموات في يومين) وقال في الحكم الدينى (أحلت لكم بهيمة الانعام الا ما يتلى عليكم غير محلى الصيد وأنتم حرم ان الله يحكم ما يريد) وقال (ذلكم حكم الله يحكم بينكم) وقال في الكونى عن ابن يعقوب (فلن أبرح الارض حتى يأذن لى أبى أو يحكم الله لى وهو خير الحاكمين) وقال (قال رب احكم بالحق وربنا الرحمن المستعان على ماتصفون) وقال في التحريم الدينى(حرمت عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير) (حرمت عليكم أمهاتكم وبناتكم) الآية ✡ وقال فى التحريم الكونى (فانها محرمة عليهم أربعين سنة يتيهون في الارض)وقال فى الكلمات الدينية (واذ ابتلى ابراهيم ربه بكلمات فأتمهن)وقال في الكونية(وتمت كلمة ربك الحسنى على بنى اسرائيل بما صبروا) ومنه قوله صلى الله عليه وسلم المستفيض عنه من وجوه في الصحاح والسنن والمسانيد انه كان يقول « أعوذ بكلمات الله التامات التى لايجاوزهن بر ولا فاجر » ومن المعلوم أن هذا هو الكونى الذى لايخرج منه شىء عن مشيئته وتكوينه وأما الكلمات الدينية فقد خالفها الكفار بمعصيته✡

والمقصود هنا أنه صلى الله عليه وسلم بين أن العواقب التي خلق لها الناس سعادة وشقاوة ييسرون لها بالاعمال التي يصيرون بها الى ذلك

كما أن سائر المخلوقات كذلك فهو سبحانه خلق الولد وسائر الحيوان في الارحام بما يقدره من اجتماع الابوين على النكاح واجتماع المائين في الرحم فلو قال الانسان أنا أتوكل ولا أطأ زوجتي فان كان قد قضى لى بولد والا لم يوجد ولاحاجة الى وطء كان أحمق بخلاف ما اذا وطى وعزل الماء فان عزل الماء لا يمنع انعقاد الولد اذا شاء الله اذ قد يخرج بغير اختياره وقد ثبت فى الصحيح عن أبى سعيد الخدرى قال« خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة بنى المصطلق فاصبنا سرايا من العرب فاشتهينا النساء واشتدت علينا العزبة وأحببنا العزل فسألنا عن ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ماعليكم الا تفعلوا فان الله قد كتب ما هو خالق الى يوم القيامة » وفي صحيح مسلم عن جابر « أن رجلا أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال ان لى جارية هى خادمتنا وسانيتنا في النخل وأنا أطوف عليها وأكره أن تحمل فقال اعزل عنها إن شئت فانه سيأتيها ما قدر لها » وهذا مع أن الله سبحانه قادر على ما قد فعله من خلق الانسان من غير أبوين كما خلق آدم ومن خلقه من أب فقط كما خلق حواء من ضلع آدم القصير ومن خلقه من أم فقط كما خلق المسيح ابن مريم عليه السلام لكن خلق ذلك بأسباب أخري غير معتادة وهذا الموضع وان كان انما يجحده الزنادقة المعطلون للشرائع فقد وقع في كثير من (١) وكثير من المشائخ المعظمين يسترسل أحدهم مع القدر غير محقق لما أمر به ونهى عنه ويجعل ذلك من باب التفويض والتوكل ويجرى مع الحقيقة القدرية ويحسب أن قول القائل ينبغى للعبد أن يكون مع الله

(١) هكذا النسخة ولعله فى كثير منهم

كالميت بين يدى الناس يتضمن ترك العمل بالأمر والنهى حتى يترك ما أمر به ويفعل مانهى عنه وحتى يضعف عنده النور والفرقان الذى يفرق به بين ما أمر الله به وأحبه وأرضاه وبين ما نهى عنه وأبغضه وسخطه فيسوى بين ما فرق الله بينه قال تعالى (أم حسب الذين اجترحوا السيئات أن نجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات سواء محياهم ومماتهم ساء مايحكمون) وقال تعالى (أفنجعل المسلمين كالمجرمين مالكم كيف تحكمون) وقال تعالى (أم نجعل الذين أمنوا وعملوا الصالحات كالمفسدين في الارض أم نجعل المتقين كالفجار) وقال تعالى (قل هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون » وقال تعالى « وما يستوى الأعمى والبصير ولا الظلمات ولا النور ولا الظل ولا الحرور وما يستوى الاحياء ولا الأموات ان الله يسمع من يشاء وما أنت بمسمع من في القبور » وأمثال ذلك حتي يفضى الامر بغلاتهم الى عدم التمييز بين الامر بالمأمور النبوى الالهى الفرقاني الشرعى الذى دل عليه الكتاب والسنة وبين ما يكون في الوجوه من الأحوال التى تجرى على أيدى الكفار والفجار فيشهدون وجه الجمع من جهة الجمع بقضاء الله وقدره وربوبيته وارادته العامة وأنه داخل في ملكه ولا يشهدون وجه الفرق الذي فرق الله به بين أوليائه وأعدائه والابرار والفجار والمؤمنين والكافرين وأهل الطاعة الذين أطاعوا أمره الدينى و أهل المعصية الذين عصوا هذا الامر ويشهدون في ذلك بكلمات مجملة نقلت عن بعض الاشياخ أوببعض غلطات بعضهم وهذا أصل عظيم من أعظم مايجب الاعتناء به على أهل طريق الله السالكين سبيل ارادة الذين يريدون وجهه

فانه قد دخل بسبب اهمال ذلك على طوائف منهم من الكفر والفسوق والعصيان مالا يعلمه الا الله حتى يصيروا معاونين على البغي والعدوان للمسلطين في الأرض من اهل الظلم والعلو الذين يتوجهون بقلوبهم في معاونة من يهوونه من اهل العلو في الارض والفساد ظانين انهم اذا كانت لهم احوال اثروا بها في ذلك من اولياء الله فان القلوب لها من التأثير اعظم مما للابدان لكن ان كانت صالحة كان تأثيرها صالحا وان كانت فاسدة كان تأثيرها فاسدا فالاحوال يكون تأثيرها محبوباً لله تارة ومكروها لله أخرى وقد تكلم الفقهاء على وجوب القود على من يقتل بغيره فى الباطن حيث يجب القود في ذلك ويستشهدون ببواطنهم وقلوبهم الأمر الكونى ويعدون مجرد خرق العادة لاحدهم بكشف لهم أو بتأثير يوافق ارادته هو كرامة من الله له ولا يعلمون انه في الحقيقة اهانة وان الكرامة لزوم الاستقامة وان الله لم يكرم عبده بكرامة اعظم من موافقته فيما يحبه ويرضاه وهو طاعته وطاعة رسوله وموالاة اوليائه ومعاداة اعدائه وهؤلاء هم اولياء الله الذين قال الله فيهم (ألا ان اولياء الله لاخوف عليهم ولاهم يحزنون) فان كانوا موافقين له فيما اوجبه عليهم فهم من المقتصدين وان كانوا موافقين فيما اوجبه واحبه فهم من المقربين مع ان كل واجب محبوب وليس كل محبوب واجبا واما ما يبتلى الله به عبده من الشر بخرق العادة او بغيرها او بالضراء فليس ذلك لاجل كرامة العبد على ربه ولاهوانه عليه بل قد يسعد بها اقوام اذا اطاعوه في ذلك وقد يشقى بها قوم اذا عصوه في ذلك. قال الله تعالى (فأما الانسان اذا ما ابتلاه ربه فاكرمه ونعمه فيقول ربى أكرمن وأما

اذا ما ابتلاه فقدر عليه رزقه فيقول ربى اهانن كلا) ولهذا كان الناس في هذه الامور على ثلاثة أقسام . قسم ترتفع درجاتهم بخرق العادة اذا استعملوها في طاعة . وقوم يتعرضون بها لعذاب الله اذا استعملوه فى معصية الله كبلعام وغيره . وقوم تكون في حقهم بمنزلة المباحات والقسم الاول هم المؤمنون حقا المتبعون لنبيهم سيد ولد آدم الذى انما كانت خوارقه لحجة يقيم بها دين الله او لحاجة يستعين بها على طاعة الله ولكثرة الغلط في هذا الاصل نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الاسترسال مع القدر بدون الحرص على فعل المأمور الذي ينفع العبد فروى مسلم في صحيحه عن أبى هريرة قال «قال رسول الله صلى الله عليه وسلم المؤمن القوى خير وأحب الى الله من المؤمن الضعيف وفي كل خير احرص على ماينفعك واستعن بالله ولا تعجزن وان أصابك شيء فلا تقل لو أنى فعلت كذا وكذا ولكن قل قدر الله وما شاء فعل فان لو تفتح عمل الشيطان» وفي سنن أبى داود «أن رجلين اختصما الى النبى صلى الله عليه وسلم فقضى على أحدهما فقال المقضى عليه حسبى الله ونعم الوكيل فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله يلوم على العجز ولكن عليك بالكيس فاذا غلبك أمر فقل حسبى الله ونعم الوكيل » فأمر النبي صلى الله عليه وسلم المؤمن أن يحرص على ما ينفعه وأن يستعين بالله وهذا مطابق لقوله (اياك نعبد واياك نستعين) وقوله (فاعبده وتوكل عليه) فان الحرص على ما ينفع العبد هو طاعة الله وعبادته اذ النافع له هو طاعة الله ولا شيء أنفع له من ذلك وكل ما يستعان به على الطاعة فهو طاعة وان كان من جنس المباح: قال النبى صلي الله عليه وسلم في الحديث

الصحيح لسعد « انك لن تنفق نفقة تبتغي بها وجه الله الا ازددت بها درجة ورفعة حتى اللقمة تضعها في في امرأتك » فأخبر النبي صلي الله عليه وسلم أن الله يلوم على العجز الذى ضد الكيس وهو التفريط فيما يؤمن بفعله فان ذلك ينافي القدرة المقارنة للفعل وان كان لا ينافى القدرة المقدمة التي هى مناط الامر والنهى فان الاستطاعة التى توجب الفعل وتكون مقارنة له لاتصلح الالمقدورها كما ذكرها في قوله (ماكانوا يستطيعون السمع) وقوله (وكانوا لايستطيعون سمعا) وأما الاستطاعة التى يتعلق بها الامر والنهي فتلك قد يقترن بها الفعل وقد لايقترن كما في قوله (ولله علي الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا) وقوله صلي الله عليه وسلم لعمر « أن صل قائما فان لم تستطع فقاعدا فان لم تستطع فعلى جنبك »

فهذا الموضع قد انقسم الناس فيه على أربعة أقسام قوم ينظرون الى جانب الأمر والنهي والعبادة والطاعة شاهدين لالوهيته سبحانه الذى أمروا أن يعبدوه ولا ينظروا إلى جانب القضاء والقدر والتوكل والاستعانة وهو حال كثير من المتفقهة المتعبدة فهم مع حسن قصدهم وتعظيمهم لحرمات الله واشعاره يغلب عليهم الضعف والعجز والخذلان والاستعانة بالله والتوكل عليه واللجاء اليه والدعاءله هى التى تقوى العبدو تيسر عليه الأمور ولهذا قال بعض السلف من سره أن يكون أقوى الناس فليتوكل على الله. وفي الصحيحين عن عبد الله ابن عمرو « أن رسول الله صلى الله عليه وسلم صفته فى التوراة انا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونزيرا وحرزا للامين أنت عبدى ورسولى سميتك المتوكل ليس بفظ

ولا غليظ ولا صخاب فى الاسواق ولا يجزي بالسيئة السيئة ولكن يجزى بالسيئة الحسنة ويغفر ولن أقبضه حتي أقيم به الملة العوجاء فأفتح بك أعينا عميا وآذانا صما وقلوبا غلفا بأن يقولوا لا اله الا الله» ولهذا روى أن حملة العرش انما أطاقوا حمل العرش بقولهم لا حول ولا قوة الا بالله. وفي الصحيحين عن النبى صلي الله عليه وسلم « انها كنز من كنوز الجنة » قال تعالى (ومن يتوكل علي الله فهو حسبه) وقال تعالى (الذين قال لهم الناس ان الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم ايمانا وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل) الى قوله (فلا تخافوهم وخافون ان كنتم مؤمنين) وفي صحيح البخارى عن ابن عباس في قوله (وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل) قالها ابراهيم الخليل حين القى في النار وقالها محمد حين قال لهم الناس ان الناس قد جمعوا لكم ☆

وقسم ثان يشهدون ربوبية الحق وافتقارهم اليه ويستعينون بها على أهوائهم وأذواقهم غير ناظرين الى حقيقة أمره ونهيه ورضاه وغضبه ومحبته وهذا حال كثير من المتفقرة والمتصوفة ولهذا كثيرا ما يعملون على الاحوال التي يتصرفون بها في الوجود لا يقصدون ما يرضى الرب ويحبه وكثيرا ما يغلطون فيظنون أن معصيته هى مرضاته فيعودون الى تعطيل الامر والنهي ويسمون هذا حقيقة ويظنون أن هذه الحقيقة الأمرية الدينية هى التي تحوى مرضات الرب ومحبته وأمره ونهيه ظاهرا وباطنا وهؤلاء كثيرا ما يسلبون أحوالهم وقد يعودون الى نوع من المعاصى والفسوق بل كثير منهم يرتد عن الاسلام لان العاقبة للتقوى ومن لم يقف عند أمر الله ونهيه فليس من المتقين فهم يقعون فى بعض ما وقع المشركون فيه تارة من بدعة

يظنونها شرعة وتارة في الاحتجاج بالقدر على الأمر والله تعالى لما ذكر ما ذم به المشركين في سورة الانعام ذكر ما ابتدعوه فى الدين وجعلوه شرعة كما قال تعالى (واذا فعلوا فاحشة قالوا وجدنا عليها آباءنا والله أمرنا بها قل ان الله لا يأمر بالفحشاء) وقد ذمهم على ان حرموا مالم يحرمه الله وان شرعوا مالم يشرعه الله وذكر احتجاجهم بالقدر فى قوله (لو شاء الله ما اشركنا ولا اباؤنا ولا حرمنا من شيء) ونظيرها في النحل ويس والزخرف وهؤلاء يكون فيهم شبهة في هذا وهذا ☆

وأما القسم الثالث وهو من أعرض عن عبادة الله واستعانته به فهؤلاء شر الاقسام ☆

والقسم الرابع هو القسم المحمود وهو حال الذين حققوا اياك نعبد واياك نستعين) وقوله (فاعبده وتوكل عليه) فاستعانوا به على طاعته وشهدوا انه الهم الذى لا يجوز ان يعبد الا اياه وطاعة رسوله وانه ربهم الذى ليس لهم من دونه ولى ولا شفيع وانه ما يفتح الله للناس من رحمة فلا ممسك لها وما يمسك فلا مرسل له من بعده وان يمسسك الله بضر فلا كاشف له الا هو وان يردك بخير فلا راد لفضله قل افرايتم ما تدعون من دون الله ان ارادنى الله بضر هل هن كاشفات ضره او ارادنى برحمة هل هن ممسكات رحمته) ولهذا قال طائفة من العلماء الالتفات الى الاسباب شرك فى التوحيد ومحو الاسباب ان تكون اسبابا نقص في العقل والاعراض عن الاسباب بالكلية قدح فى الشرع وانما التوكل المأمور به ما يجتمع فيه مقتضى التوحيد والعقل والشرع فقد بين ان من ظن التوكل من مقامات عامة اهل الطريق فقد غلط غلطا شديدا وان كان من اعيان المشائخ كصاحب علل المقامات

وهو من اجل المشائخ واخذ ذلك عنه صاحب محاسن المجالس وأظهر ضعف حجته فمن قال ذلك ان المطلوب به حظ العامة فقط وظنه انه لافائدة له فى تحصيل المقصود وهذه حال من جعل الدعاء كذلك وذلك بمنزلة من جعل الاعمال المأمور بها كذلك فمن اشتغل بالتوكل على مايجب عليه من الأسباب التى هي عبادة الله وطاعة مأمور بها فان غلط هذا من ترك الاسباب المأمور بها التي هى داخلة في قوله (فاعبده وتوكل عليه) كغلط الاول فى ترك التوكل المأمور به الذى هو داخل في قوله (فاعبده وتوكل عليه) لكن يقال من كان توكله على الله ودعاؤه له هو فى حصول مباحات فهو من العامة وان كان في حصول مستحبات وواجبات فهو من الخاصة كما ان من دعاه وتوكل عليه في حصول محرمات فهو ظالم لنفسه ومن اعرض عن التوكل فهو عاص لله ورسوله بل خارج عن حقيقة الايمان فكيف يكون هذا المقام للخاصة . قال الله تعالى (وقال موسى ياقوم ان كنتم آمنتم بالله فعليه توكلوا ان كنتم مسلمين) وقال تعالى (ان ينصركم الله فلا غالب لكم وان يخذلكم فمن ذا الذى ينصركم من بعده) وقال (وعلى الله فليتوكل المؤمنون) وقال تعالى (قل افرأيتم ماتدعون من دون الله ان ارادني الله بضر هل هن كاشفات ضره) الى قوله (قل حسبى الله عليه يتوكل المتوكلون) وقد ذكر الله هذه الكلمة حسبى الله في جلب المنفعة تارة وفي دفع المضرة أخرى فالاولى قوله (ولو أنهم رضوا ما آتاهم الله ورسوله وقالوا حسبنا الله سيؤتينا الله من فضله ورسوله) الآية. والثانية قوله « الذين قال لهم الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم ايمانا وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل » وفي قوله

وان يريدوا أن يخدعوك فان حسبك الله) وقوله (ولو أنهم رضوا ما آتاهم الله ورسوله وقالوا حسبنا الله سيؤتينا الله من فضله ورسوله) الآية يتضمن الامر بالرضا والتوكل والرضاء والتوكل يكتنفان المقدور فالتوكل قبل وقوعه والرضاء بعد وقوعه ولهذا كان النبي صلى الله عليه وسلم يقول في الصلاة « اللهم بعلمك الغيب وبقدرتك على الخلق احيني ما علمت الحياة خيرا لي وتوفني اذا كانت الوفاة خيرا لي اللهم اني أسألك خشيتك في الغيب والشهادة وأسألك كلمة الحق في الغضب والرضا واسألك القصد في الفقر والغنى واسألك نعيما لا ينفد واسألك قرة عين لا تنقطع اللهم اني اسألك الرضاء بعد القضاء واسألك برد العيش بعد الموت واسألك لذة النظر الى وجهك والشوق الى لقائك من غير ضراء مضرة ولا فتنة مضلة اللهم زينا بزينة الايمان واجعلنا هداة مهتدين » رواه احمد والنسائي من حديث عمار بن ياسر * وأما مايكون قبل القضاء فهو عزم على الرضا لا حقيقة للرضا ولهذا كان طائفة من المشائخ يعزمون على الرضا قبل وقوع البلاء فاذا وقع انفسخت عزائمهم كما يقع نحو ذلك في الصبر وغيره كما قال تعالى (ولقد كنتم تمنون الموت من قبل أن تلقوه فقد رأيتموه وأنتم تنظرون) وقال تعالى (يا أيها الذين آمنوا لم تقولون مالا تفعلون كبر مقتا عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون ان الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفا كأنهم بنيان مرصوص) نزلت هذه الآية لما قالوا لو علمنا أي الاعمال أحب الى الله لعملناه فأنزل الله آية الجهاد فكرهه من كرهه ولهذا كره للمرء أن يتعرض للبلاء بأن يوجب على نفسه مالا يوجبه الشارع عليه بالعهد والنذر ونحو ذلك أو يطلب ولاية أو يقدم على بلد فيه طاعون

كما ثبت في الصحيحين من غير وجه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه نهى عن النذر وقال « انه لايأتي بخير وإنما يستخرج به من البخيل » وثبت عنه في الصحيحين أنه قال لعبد الرحمن بن سمرة « لا تسأل الامارة فانك إن اعطيتها عن مسألة وكلت اليها وان أعطيتها من غير مسألة أعنت عليها واذا حلفت على يمين فرأيت غيرها خيرا منها فأت الذى هو خير وكفر عن يمينك » وثبت عنه في الصحيحين أنه قال في الطاعون « اذا سمعتم به بأرض فلا تقدموا عليه واذا وقع بأرض وأنتم بها فلا تخرجوا منها » وثبت في الصحيحين أنه قال « لا تتمنوا لقاء العدو واسألوا الله العافية ولكن اذا لقيتموهم فاصبروا واعلموا أن الجنة تحت ظلال السيوف » وأمثال ذلك مما يقتضى أن الانسان لاينبغى له أن يسعى فيما يوجب عليه أشياء فيبخل بالوفاء كما يفعل كثير ممن يعاهد الله عهوداً على أمور . وغالب هؤلاء يبتلون بنقض العهود . وينبغى أن الانسان اذا ابتلى فعليه أن يصبر ويثبت ولا يكل حتى يكون من الرجال الموفين القائمين بالواجبات . ولا بد فى جميع ذلك من الصبر . ولهذا كان الصبر واجباً باتفاق المسلمين على أداء الواجبات وترك المحظورات . ويدخل في ذلك الصبر على المصائب عن أن يخرج ، والصبر عن اتباع أهواء النفس فيما نهى الله عنه . وقد ذكر الله الصبر في كتابه في أكثر من تسعين موضعاً وقرنه بالصلاة في قوله (واستعينوا بالصبر والصلاة وانها لكبيرة الا على الخاشعين ✡ واستعينوا بالصبر والصلاة ان الله مع الصابرين) وقوله (وأقم الصلاة طرفي النهار وزلفا من الليل) الى قوله (واصبر فان الله لايضيع أجر المحسنين ✡ فاصبر على مايقولون وسبح

بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل غروبها ☆ فاصبر ان وعد الله حق واستغفر لذنبك) الآية . وجعل الامامة فى الدين موروثة عن الصبر واليقين بقوله (وجعلنا هم أئمة يهدون بأمرنا لما صبروا وكانوا بآياتنا يوقنون) فان الدين كله علم بالحق وعمل به فالعمل به لابد فيه من الصبر بل وطلب علمه يحتاج الى الصبر كما قال معاذ بن جبل عليكم بالعلم فان طلبه لله عبادة ومعرفته خشية والبحث عنه جهاد وتعليمه لمن لايعلمه صدقة ومذاكرته تسبيح به يعرف الله ويعبد به يمجد ويوحد يرفع الله بالعلم اقواما يجعلهم للناس قادة وائمة يهتدون بهم وينتهون الى رأيهم. فجعل البحث عن العلم من الجهاد ولابد في الجهاد من الصبر ولهذا قال تعالى (والعصر ان الانسان لفى خسر الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتوصوا بالحق وتواصوا بالصبر) وقال تعالى (واذكر عبادنا ابراهيم واسحاق ويعقوب اولى الايدي والابصار) فالعلم النافع هو اصل الهدى والعمل بالحق هو الرشاد وضد الاول هو الضلال وضد الثانى هو الغى والضلال العمل بغير علم والغى اتباع الهوى . قال تعالى (والنجم اذا هوى ماضل صاحبكم وماغوى) فلا ينال الهدي الا بالعلم ولاينال الرشاد الا بالصبر ولهذا قال على ألا ان الصبر من الايمان بمنزلة الرأس من الجسد فاذا انقطع الرأس بان الجسد ثم رفع صوته فقال ألا لا ايمان لمن لاصبر له☆

واما الرضا فقد تنازع العلماء والمشائخ من اصحاب الامام احمد وغيرهم في الرضاء بالقضاء هل هو واجب أو مستحب على قولين فعلى الاول يكون من اعمال المقتصدين وعلى الثانى يكون من اعمال المقربين قال عمر بن عبد العزيز الرضاء عزيز ولكن معول المؤمن. وقد روي

عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لابن عباس « ان استطعت ان تعمل لله بالرضاء مع اليقين فافعل فان لم تستطع فان في الصبر على ما تكره خيراً كثيراً . ولهذا لم يجيء في القرآن الا مدح الراضين لا ايجاب ذلك وهذا في الرضا فيما يفعله الرب بعبده من المصائب كالمرض والفقر والزلزال كما قال تعالى (والصابرين في البأساء والضراء وحين البأس) وقال (أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يأتكم مثل الذين خلوا من قبلكم مستهم البأساء والضراء وزلزلوا) فالبأساء في الاموال والضراء في الابدان والزلزال في القلوب . وأما الرضا بما أمر الله به فأصله واجب وهو من الايمان كما قال النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث « ذاق طعم الايمان من رضي بالله رباً وبالاسلام ديناً وبمحمد نبياً » وهو من توابع المحبة كما سنذكره ان شاء الله تعالى . وقال (فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليماً) وقال تعالى (ولو أنهم رضوا ما آتاهم الله ورسوله وقالوا حسبنا الله) الآية . وقال تعالى (ذلك بأنهم اتبعوا ما أسخط الله وكرهوا رضوانه فأحبط أعمالهم) وقال (وما منعهم أن تقبل منهم نفقاتهم الا أنهم كفروا بالله وبرسوله ولا يأتون الصلاة الا وهم كسالى ولا ينفقون الا وهم كارهون) ومن النوع الأول ما رواه احمد والترمذي وغيرهما عن سعد عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال « من سعادة ابن آدم استخارته لله ورضاه بما قسم الله له . ومن شقاوة ابن آدم تركه استخارته لله وسخطه بما يقسم الله له » وأما الرضا بالمنهيات من الكفر والفسوق والعصيان فأكثر العلماء يقولون لا يشرع الرضا بها اذ

هى كما لا تشرع محبتها فان الله سبحانه لا يرضاها ولا يحبها وان كان قدرها وقضاها كما قال سبحانه (والله لا يحب الفساد) وقال تعالى (ولا يرضى لعباده الكفر) بل يسخطها كما قال تعالى (ذلك بأنهم اتبعوا ما أسخط الله وكرهوا رضوانه فأحبط أعمالهم) وقالت طائفة ترضى من جهة كونها مضافة الى الله خلقاً وتسخط من جهة كونها مضافة الى العبد فعلا وكسباً. وهذا لاينافى الذى قبله بل هما يعودان الى أصل واحد وهو سبحانه قدر الاشياء لحكمة فهي لاعتبار تلك الحكمة محبوبة مرضية وقد تكون في نفسها مكروهة ومسخوطة. اذ الشيء الواحد يجتمع فيه وصفان يحب من أحدهما ويكره من الآخر كما في الحديث الصحيح «ماترددت عن شيء أنا فاعله ترددي عن قبض نفس عبدى المؤمن يكره الموت وأكره مساءته ولا بد له منه» وأما من قال بالرضاء بالقضاء الذى هو وصف الله وفعله لابالمقتضى الذى هو مفعوله فهو خروج منه عن مقصود الكلام. فان الكلام ليس بالرضاء فيما يقوم بذات الرب تعالى من صفاته وأفعاله وانما الكلام فى الرضاء بمفعولاته، والكلام فيما يتعلق بهذا قد بيناه في غير هذا الموضع. والرضاء وان كان من أعمال القلوب فكماله هو الحمد، حتى أن بعضهم فسر الحمد بالرضاء. ولهذا جاء في الكتاب والسنة حمد الله على كل حال وذلك يتضمن بمقضياته. وفي الحديث «أول من يدعى الى الجنة الحامدون الذين يحمدون الله في السراء والضراء» وروى عن النبى صلى الله عليه وسلم «أنه كان اذا اتاه الامر يسره قال الحمد لله الذى بنعمته تتم الصالحات واذا أتاه الامر الذى يسوءه قال الحمد لله على كل حال» وفي مسند

الامام احمد عن أبى موسى الاشعرى عن النبى صلى الله عليه وسلم قال «اذا قبض ولد العبد يقول الله لملائكته أقبضتم ولد عبدى فيقولون نعم فيقول أقبضتم ثمرة فؤاده فيقولون نعم فيقول ماذا قال فيقولون حمدك واسترجعك فيقول ابنوا لعبدى بيتاً في الجنة وسموه بيت الحمد» ونبينا صلى الله عليه وسلم هو صاحب لواء الحمد، وأمته هم الحامدون الذين يحمدون الله على السراء والضراء. والرضا والحمد على الضراء يوجبه شاهدان. أحدهما علم العبد بأن الله سبحانه مستوجب لذلك مستحق له لنفسه فانه أحسن كل شيء خلقه وأتقن كل شيء وهو العليم الحكيم الخبير الرحيم. والثانى علمه بأن اختيار الله لعبده المؤمن خير من اختياره لنفسه كما روى مسلم في صحيحه وغيره عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال «والذى نفسى بيده لايقضى الله للمؤمن قضاء الا كان خيراً له وليس ذلك الا للمؤمن ان أصابته سراء شكر فكان خيراً له، وان اصابته ضراء فصبر فكان خيراً له» فأخبر النبى صلى الله عليه وسلم ان كل قضاء يقضيه الله للمؤمن الذى يصبر على البلاء ويشكر على السراء فهو خير له. قال تعالى (ان فى ذلك لآيات لكل صبار شكور) وذكرها فى أربعة مواضع من كتابه. فأما من لايصبر على البلاء، ولا يشكر على الرخاء فلا يلزم أن يكون القضاء خيراً له. ولهذا أجبت من أورد على هذا بما يقضى على المؤمن من المعاصى بجوابين. أحدهما ان هذا انما يتناول ما أصاب العبد لامافعله العبد كما في قوله (ماأصابك من حسنة فمن الله) أى من سراء (وما أصابك من سيئة فمن نفسك) أى من ضراء. وكقوله (وبلوناهم

بالحسنات والسيئات لعلهم يرجعون) أي بالسراء والضراء كما قال (ونبلوكم بالشر والخير فتنة) وقال (ان تمسسكم حسنة تسوءهم وان تصبكم سيئة يفرحوا بها) يراد بها المسار والمضار ، ويراد بها الطاعات والمعاصى . والجواب الثانى أن هـذا في حق المؤمن الصبار الشكور . والذنوب تنقص الايمان ، فاذا تاب العبد أحبه الله وقد ترتفع درجته بالتوبة . قال بعض السلف كان داود بعد التوبة خيراً منه قبل الخطيئة فمن قضى له بالتوبة كان كما قال سعيد بن جبير ان العبد ليعمل الحسنة فيدخل بها النار ، وان العبد ليعمل السيئة فيدخل بها الجنة . وذلك أنه يعمل الحسنة فتكون نصب عينـه ويعجب بها ويعمل السيئة فتكون نصب عينه فيستغفر الله ويتوب اليه منهـا . وقد ثبت في الصحيح عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال « الأعمال بالخواتيم » والمؤمن اذا فعل سيئة فان عقوبته تندفع عنه بعشرة أسـباب . أن يتوب فيتوب الله عليه فان التـائب من الذنب كمن لا ذنب له ، أو يستغفر فيغفر له ، أو يعمل حسنات تمحوها فان الحسنات يذهبن السيئات ، أو يدعو له اخوانه المؤمنون ويشفعون له حيا وميتاً ، أو يهدون له من ثواب أعمالهم لينفعه الله به ، أو يشفع فيـه نبيه محمد صلى الله عليه وسلم ، أو يبتليه في الدنيا بمصائب تكفر عنه . أو يبتليه في البرزخ والصعقة فيكفر بها عنه ؛ أو يبتليه في عرصات القيامة من أهوالها بما يكفر عنه ؛ أو يرحمه أرحم الراحمين فمن أخطأته هذه العشرة فلا يلومن الا نفسه كما قال تعالى فيما يروي عنـه رسوله « ياعبادي انما هى أعمالكم أحصيها لكم ثم أوفيكم اياها فمن وجد خيراً فليحمد الله

ومن وجد غير ذلك فلا يلومنّ الا نفسه » فان كان المؤمن يعلم أن القضاء خير اذا كان صباراً شكوراً وكان قد استخار الله وعلم أن من سعادة ابن آدم استخارته لله ورضاه بما قسم له كان قد رضى بما هو خير له . وفي الحديث الصحيح عن على قال « ان الله يقضى بالقضاء فمن رضى فله الرضا ومن سخط فله السخط » ففى هذا الحديث الرضا والاستخارة فالرضا بعد القضاء والاستخارة قبل القضاء وهذا أكمل من الرضا والصبر فلهذا ذكر في ذاك الرضا وفى هذا الصبر ثم اذا كان القضاء مع الصبر خيراله فكيف مع الرضا ولهذا جاء في الحديث « المصاب من حرم الثواب » فالأثر الذى رواه الشافعى فى مسنده « أن النبى صلى الله عليه وسلم لما مات سمعوا قائلا يقول يا ال بيت رسول الله ان فى الله عزاء من كل مصيبة وخلفا من كل هالك ودركا من كل فائت فبالله فثقوا واياه فارجوا فان المصاب من حرم الثواب) ولهذا لم نؤمر بالحزن المنافى للرضا قط مع أنه لا فائدة فيه فقد يكون مضرة لكنه يعفي عنه اذا لم يقترن به ما يكرهه الله لكن البكاء على الميت على وجه الرحمة حسن مستحب وذلك لا ينافى الرضا بخلاف البكاء عليه لفوات حظه منه وبهذا نعرف معنى قول النبى صلى الله عليه وسلم لما بكى على الميت وقال « ان هذه رحمة جعلها الله في قلوب عباده وانما يرحم الله من عباده الرحماء » وان هذا ليس كبكاء من يبكى لحظه لا لرحمة الميت وأن الفضيل بن عياض لما مات ابنه على فضحك وقال رأيت ان الله قضى فأحببت أن أرضى بما قضى الله به حاله حال حسن بالنسبة الى أهل الجزع . وأما رحمة الميت مع الرضا

بالقضاء وحمد الله كحال النبي صلى الله عليه وسلم فهذا أكمل. قال تعالى (ثم كان من الذين آمنوا وتواصوا بالصبر وتواصوا بالمرحمة) فذكر سبحانه التواصي بالصبر والرحمة ☆

والناس أربعة أقسام. منهم من يكون فيه صبر بقسوة ومنهم من يكون فيه رحمة بجزع. ومنهم من يكون فيه القسوة والجزع والمؤمن المحمود الذى يصبر على مايصيبه ويرحم الناس. وقد فطن طائفة من المصنفين في هذا الباب أن الرضا عن الله من توابع المحبة له وهذا انما يتوجه على المأخذ الاول وهو الرضا عنه لاستحقاقه ذلك بنفسه مع قطع العبد النظر عن حظه بخلاف المأخذ الثانى وهو الرضا لعمله بأن المقضى خير له ثم ان المحبة متعلقة به والرضا متعلق بقضائه لكن قد يقال في تقرير ما قال هذا المصنف ونحوه أن المحبة لله نوعان محبة له نفسه ومحبة لما منّ به من الاحسان وكذلك الحمد له نوعان حمد له على مايستحقه بنفسه وحمد على احسانه لعبده فالنوعان للرضا كالنوعين للمحبة. وأما الرضا به وبدينه وبرسوله فذلك من حظ المحبة ولهذا ذكر النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال « ذاق طعم الايمان من رضى بالله ربا وبالاسلام دينا وبمحمد نبيا » وفي الصحيحين عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال « ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الايمان أن يكون الله ورسوله أحب اليه مما سواهما ومن كان يحب المرء لا يحبه الا لله ومن كان يكره أن يرجع الى الكفر بعد اذ أنقذه الله منه كما يكره أن يلقى في النار »(١)

(١) فسرت الحلاوة هنا فى الحديث بمعانى كثيرة فأقربها ماقاله الترمذى أن معناها

وهذا مما يبين من الكلام على المحبة فنقول ☆

فصل

محبة الله بل محبة الله ورسوله من أعظم واجبات الايمان وأكبر أصوله وأجل قواعده بل هي كل عمل من أعمال الايمان والدين كما أن التصديق أصل كل قول من أقوال الايمان والدين فان كل حركة في الوجود انما تصدر عن محبة إما عن محبة محمودة أو عن محبة مذمومة كما قد بسطنا ذلك في قاعدة المحبة من القواعد الكبار فجميع الأعمال الايمانية الدينية لا تصدر الا عن المحبة المحمودة وأصل المحبة المحمودة هي محبة الله سبحانه وتعالى إذ العمل الصادر عن محبة مذمومة عند الله لا يكون عملا صالحا بل جميع الاعمال الايمانية الدينية لا تصدر الا عن محبة الله فان الله تعالى لا يقبل من العمل الا ما أريد به وجهه كما ثبت في الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال « يقول الله تعالى أنا أغنى الشركاء عن الشرك فمن عمل عملا

استلذاذ الطاعات وتحمل المشاق في الدين وايثار ذلك على أعراض الدنيا. ومحبة العبد لله تعالى بفعل طاعته وترك مخالفته وكذلك محبة رسول الله صلى الله عليه آله وسلم وقوله «وجد» أي أصاب فلذلك اكتفى بمفعول واحد وهو قوله حلاوة الايمان . ومعنى أنقذه الله خلصه ونجاه ☆ والحكمة في كون حلاوة الايمان في هذه الاشياء الثلاثة أن هذه الامور هي عنوان كمال الايمان المحصل لتلك اللذة لانه لا يتم ايمان امرىء حتى يتمكن في نفسه أن المنعم بالذات هو الله سبحانه وتعالى ولا معطي ولا مانع سواه وما عداه تعالى وسائط لا نفع له ولا ضرر . وأن الرسول عليه الصلاة والسلام هو الشفوق العطوف الساعي في صلاح شأنه وذلك يقتضي أن يتوجه بكليته نحوه ولا يحب ما يحبه الا كونه وسطا بينه وبين الله تعالى وأن يتيقن أن جملة ما أوعدو وعد حق تيقنا يخيل اليه الموعود كالواقع نسأل الله التوفيق والهداية الى الصراط المستقيم صراط الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والصالحين . والله أعلم

فأشرك فيه غيري فانا منه برىء وهو كله للذي أشرك) وثبت في الصحيح حديث الثلاثة الذين هم أول من تسعر بهم النار « القارىء المرائى والمجاهد المرائى والمتصدق المرائى» بل اخلاص الدين لله هو الدين الذى لا يقبل الله سواه فهو الذى بعث به الاولين والآخرين من الرسل وأنزل به جميع الكتب واتفق عليه أئمة أهل الايمان وهذا هو خلاصة الدعوة النبوية وهو قطب القرآن الذى تدور عليه رحاه قال تعالى (تنزيل الكتاب من الله العزيز الحكيم) ✡ (انا أنزلنا اليك الكتاب بالحق فاعبد الله مخلصا له الدين) (ألا لله الدين الخالص) والسورة كلها عامتها فى هذا المعنى في قوله (قل انى أمرت أن أعبد الله مخلصا له الدين وأمرت لان أكون أول المسلمين) الى قوله (قل الله أعبد مخلصا له دينى) الى قوله (أليس الله بكاف عبده و يخوفونك بالذين من دونه) الى قوله (قل أفرأيتم ماتدعون من دون الله ان أرادنى الله بضر هل هن كاشفات ضره) الآية. الى قوله (أم اتخذوا من دون الله شفعاء قل أولو كانوا لا يملكون شيئاً ولا يعقلون قل لله الشفاعة جميعا له ملك السموات والارض ثم اليه ترجعون) (واذا ذكر الله وحده اشمأزت قلوب الذين لا يؤمنون بالآخرة واذا ذكر الذين من دونه اذا هم يستبشرون) الى قوله (قل أفغير الله تأمروني أعبد أيها الجاهلون) الى قوله (بل الله فاعبد وكن من الشاكرين) وقال تعالى فيما قصه من قصة آدم وأبليس أنه قال (فبعزتك لاغوينهم أجمعين الا عبادك منهم المخلصين) وقال تعالى (ان عبادى ليس لك عليهم سلطان الا من اتبعك من الغاوين) وقال (انه ليس له سلطان على الذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون انما سلطانه على

الذين يتولونه والذين هم به مشركون) فبين أن سلطان الشيطان واغواءه انما هو لغير المخلصين ولهذا قال فى قصة يوسف (كذلك لنصرف عنه السوء والفحشاء انه من عبادنا المخلصين) وأتباع الشيطان هم أصحاب النار كما قال تعالى (لاملأن جهنم منك وممن تبعك منهم أجمعين) وقد قال سبحانه (ان الله لايغفر أن يشرك به ويغفر مادون ذلك لمن يشاء) وهذه الآية في حق من لم يتب ولهذا خصص الشرك وقبل ما سواه بالمشيئة فانه لايغفر الشرك لمن لم يتب منه ومادونه يغفره لمن يشاء . وأما قوله (قل ياعبادى الذين أسرفوا على أنفسهم لاتقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعا) فتلك في حق التائبين ولهذا عم وأطلق وسياق الآية يبين ذلك مع سبب نزولها وقد أخبر سبحانه أن الاولين والآخرين انما أمروا بذلك فى غير موضع كالسورة التى قرأها النبى صلى الله عليه وسلم لما أمره أن يقرأ عليه قراءة إبلاغ وإسماع بخصوصه فقال (وما تفرق الذين أوتوا الكتاب الا من بعد ما جاءتهم البينة وما أمروا الا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء) الآية وهذا حقيقة قول لااله إلا الله وبذلك بعث جميع الرسل قال الله تعالى (وما أرسلنا من قبلك من رسول الا نوحي اليه أنه لا اله الا أنا فاعبدون» وقال (واسأل من أرسلنا من قبلك من رسلنا أجعلنا من دون الرحمن آلهة يعبدون» وقال تعالى (ولقد بعثنا فى كل أمة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت) وجميع الأنبياء افتتحوا دعوتهم بهذا الاصل كما قال نوح عليه السلام « اعبدوا الله ما لكم من اله غيره » وكذلك هود وصالح وشعيب عليهم السلام وغيرهم كل يقول اعبدوا الله ما لكم من إله غيره

لاسيما أفضلا الرسل الذين اتخذ الله كلاهما خليلا ابراهيم ومحمدا عليهما السلام فان هذا الاصل بينه الله بهما وأيدهما فيه وأنشره بهما فابراهيم هو الامام الذى قال الله فيه « انى جاعلك للناس إماما » وفى ذريته جعل النبوة والكتاب والرسل فأهل هذه النبوة والرسالة هم الذين بارك الله عليهم قال سبحانه « واذ قال ابراهيم لابيه وقومه انني براء مما تعبدون الا الذى فطرني فانه سيهدين وجعلها كلمة باقية في عقبه لعلهم يرجعون) فهذه الكلمة هى كلمة الاخلاص لله وهى البراءة من كل معبود الا من الخالق الذى فطرنا كما قال صاحب يس (ومالى لاأعبد الذى فطرني واليه ترجعون ءأتخذ من دونه آلهة ان يردن الرحمن بضر لا تغن عني شفاعتهم شيئا ولا ينقذون » وقال تعالى فى قصته بعد أن ذكر ما يبين ضلال من اتخذ بعض الكواكب ربا يعبده من دون الله قال « فلما أفلت قال يا قوم انى برىء مما تشركون انى وجهت وجهى للذى فطر السموات والارض حنيفا وما أنا من المشركين » الى قوله (ولا تخافون انكم أشركتم بالله مالم ينزل به عليكم سلطانا) وقال ابراهيم الخليل عليه السلام (أفرأيتم ما كنتم تعبدون أنتم وآباؤكم الأقدمون فانهم عدولى الا رب العالمين الذى خلقنى فهو يهدين والذي هو يطعمنى ويسقين واذا مرضت فهو يشفين) وقوله تعالى (قد كانت لكم أسوة حسنة في ابراهيم والذين معه اذ قالوا لقومهم انا براء منكم ومما تعبدون من دون الله كفرنا بكم » الآية ونبينا صلى الله عليه وسلم هو الذى أقام الله به الدين الخالص لله دين التوحيد وقمع به المشركين من كان مشركا في الاصل من الذين كفروا من أهل الكتب وقال صلى الله عليه وسلم

فيما رواه الامام وغيره[1] « بعثت بالسيف بين يدى الساعة حتى يعبد الله وحده لاشريك له وجعل رزقي تحت ظل رمحى وجعل الذل والصغار على من خالف أمري ومن تشبه بقوم فهو منهم » وقد تقدم بعض ماانزل الله من الآيات المتضمنة للتوحيد فقال تعالى (والصافات صفا) الى قوله (ان الهكم لواحد) الى قوله (انهم كانوا اذا قيل لهم لااله الا الله يستكبرون ويقولون أئنا لتاركوا الهتنا لشاعر مجنون بل جاء بالحق وصدق المرسلين) الى قوله (اولئك لهم رزق معلوم فواكه وهم مكرمون) الى ماذكره من قصص الانبياء في التوحيد واخلاص الدين لله الى قوله (سبحان الله عما يصفون الا عباد الله المخلصين) وقال تعالى (ان المنافقين في الدرك الاسفل من النار ولن تجد لهم نصيرا الا الذين تابوا وأصلحوا واعتصموا بالله وأخلصوا دينهم لله) وفي الجملة فهذا الأصل فى سورة الأنعام والأعراف والنور وطسم وحم وسورة المفصل وغير ذلك من السور المكية وكثير من السور المدنية كثير ظاهر فهو اصل الأصول وقاعدة الدين حتى في سورتى الاخلاص قل ياأيها الكافرون وقل هو الله احد . وهاتان السورتان كان النبى صلى الله عليه وسلم يقرأ بهما في ركعتى التطوع كركعتى الطواف وسنة الفجر وهما متضمنتان للتوحيد فاما قل ياأيها الكافرون فهى متضمنة للتوحيد العملى الارادي وهو اخلاص الدين لله بالقصد والارادة وهو الذى يتكلم به مشائخ التصوف غالبا. وأما سورة قل هو الله احد فمتضمنة للتوحيد القولى العملى كما ثبت في الصحيحين عن عائشة « ان رجلا كان

(١) الحديث رواه الامام احمد في مسنده وابو يعلى والطبرانى في الكبير عن ابن عمر

يقرأ قل هو الله احد في صلاته فقال النبي صلى الله عليه وسلم سلوه لم يفعل ذلك فقال لانها صفة الرحمن فانا احبها فقال اخبروه ان الله يحبه» ولهذا تضمنت هذه السورة من وصف الله سبحانه وتعالى الذى جاء بنفي قول أهل التعطيل واهل التمثيل ماصارت به هي الاصل المعتمد في مسائل الذات كما قد بسطنا ذلك في غير هذا الموضع وذكرنا اعتماد الائمة عليها على ماتضمنته في تفسير الأحد كما جاء تفسيره عن النبي صلى الله عليه وسلم والصحابة والتابعين وما دل على ذلك من الدلائل لكن المقصود هنا هو التوحيد العملى وهو إخلاص الدين لله وان كان احد النوعين مرتبطاً بالآخر فلا يوجد احد من أهل التعطيل الجهمية واهل التمثيل المشبهة الا وفيه نوع من الشرك العملي اذا صل قولهم فيه شرك وتسوية بين الله وبين خلقه او بينه وبين المعدومات كما يسوى المعطلة بينه وبين المعدومات في الصفات السلبية التى لاتستلزم مدحا ولا ثبوت كمال أو يسوون بينه وبين الناقص من الموجودات في صفات النقص وكما يثبتون اذا اثبتوا هم (١) ومن ضاهاهم من الممثلة مساواة بينه وبين المخلوقات في حقائقها حتي يعبدوها فيعدلون عن ربهم ويجعلون له أندادا ويشبهون المخلوق برب العالمين واليهود كثيرا مايعدلون الخالق بالمخلوق ويمثلونه به حتى يصفوا الله بالعجز والفقر والبخل ونحو ذلك من النقائص التى يجب تنزيهه عنها وهى من صفات خلقه والنصاري يعدلون المخلوق بالخالق حتي يجعلوا في المخلوق من نعوت الربوبية وصفات الالهية ويجوزون له مالا يصلح الا للخالق سبحانه وتعالى عما

(١) هكذا الاصل تدبر

يقول الظالمون علوا كبيرا والله سبحانه وتعالى قد أمرنا بالاتباع في قوله (اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين انعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين) وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم «اليهود مغضوب عليهم والنصارى ضالون» وفى هذه الامة من فيه شبه من هؤلاء وهؤلاء كما قال النبى صلى الله عليه وسلم «لتتبعن سنن من كان قبلكم حذو القذة بالقذة حتى لو دخلوا جحر ضب لدخلتموه قالوا يارسول الله اليهود والنصارى قال فمن» (١) والحديث فى الصحيحين فاذا كان أصل العمل الدينى هو اخلاص الدين لله وهو ارادة الله وحده فالشيء المراد لنفسه المحبوب لذاته وهذا كمال المحبة لكن أكثر ماجاء المطلوب مسمى باسم العبادة كقوله (وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون) وقوله (ياأيها الناس اعبدوا ربكم الذى خلقكم والذين من قبلكم) وأمثال هذا والعبادة تتضمن كمال الحب ونهايته وكمال الذل ونهايته فالمحبوب الذى لايعظم ولا يذل له لا يكون معبودا والمعظم الذى لايعظم لايكون معبوداً ولهذا قال تعالى (ومن الناس من يتخذ من دون الله أندادا يحبونهم كحب الله والذين آمنوا

(١) السنن بفتح السين السبيل والمنهاج وروى بضمها . والقذة جمعها قذذ ريش السهم أى كما تقدر كل واحدة منهما على قدر صاحبتها وتقطع يضرب مثلا للشيئين يستويان ولا يتفاوتان . والجحر بضم الجيم كل شيء يحتفره الهوام والسباع لانفسها . والضب هودوبية . وتخصيص جحر الضب بالذكر لشدة ضيقه ورداءته ومع ذلك فانهم لاقتفائهم آثارهم واتباعهم طرائقهم لو دخلوا في مثل هذا الضيق الردىء لوافقوهم على ذلك وانظر مابلغ هذا التشبيه والتمثيل. وقد وقع ماأخبر به صلى الله عليه وآله وسلم فتجد اكثر المسلمين المنهمكين فى شهوات فروجهم وبطونهم لايتلذذون الا اذا قلدوا الاجنبي في كل فعل قبيح وعمل مضر. وقوله «فمن» هو بفتح الفاء والميم وسكون النون استفهام على وجه الانكار أى ليس المراد غيرهم والله أعلم

أشد حبا لله) منهم ومن آباءهم لان المؤمنين أعلم بالله والحب يتبع العلم وان المؤمنين جعلوا جميع حبهم لله وحده وأولئك جعلوا بعض حبهم له وأشركوا بينه وبين الأنداد في الحب ومعلوم ان ذلك أفضل . قال الله تعالى (ضرب الله مثلا رجلا فيه شركاء متشاكسون ورجلا سلما لرجل هل يستويان مثلا) الآية . واسم المحبة فيه اطلاق وعموم فان المؤمن يحب الله ويحب رسله وأنبياءه وعباده المؤمنين وان كان ذلك من محبة الله وان كانت المحبة التى لله لايستحقها غيره فلهذا جاءت محبة الله مذكورة بما يختص به سبحانه من العبادة والانابة اليه والتقبل له ونحو ذلك فكل هذه الأسماء تتضمن محبة الله سبحانه وتعالى ثم انه كما بين ان محبته أصل الدين فقد بين ان كمال الدين بكمالها ونقصه بنقصها فان النبى صلى الله عليه وسلم قال « رأس الأمر الاسلام وعموده الصلاة وذروة سنامه الجهاد في سبيل الله» فاخبر ان الجهاد ذروة سنام العمل وهو أعلاه وأشرفه. وقد قال تعالى (أجعلتم سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام كمن آمن بالله واليوم الآخر وجاهد في سبيل الله لا يستوون عند الله) الى قوله (أجر عظيم) والنصوص في فضائل الجهاد وأهله كثيرة . وقد ثبت انه أفضل ماتطوع به العبد. والجهاد لازم المحبة الكاملة. قال تعالى (قل ان كان اباؤكم وأبناؤكم واخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم) الآية . وقال تعالى فى صفة المحبين المحبوبين (ياأيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتى الله بقوم يحبهم ويحبونه أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم) فان المحبة مستلزمة للجهاد ولان المحب يحب

ما يحب محبوبه ويبغض مايبغض محبوبه ويوالى من يوالى محبوبه ويعادى من يعاديه ويرضى لرضاه ويغضب لغضبه ويأمر بما يأمر به وينهى عما ينهى عنه فهو موافق في ذلك وهؤلاء هم الذين يرضى الرب لرضاهم ويغضب لغضبهم اذ هم انما يرضون لرضاه ويغضبون لما يغضب له كما قال النبى صلى الله عليه وسلم لابى بكر في طائفة فيهم صهيب وبلال « لعلك أغضبتهم لان كنت أغضبتهم لقد أغضبت ربك فقال لهم ياأخوتى هل أغضبتكم قالوا لايغفر الله لك ياأبا بكر » وكان قد مر بهم أبو سفيان ابن حرب فقالوا ماأخذت السيوف مأخذها فقال لهم أبوبكر أتقولون هذا لسيد قريش وذكر أبو بكر ذلك للنبى صلى الله عليه وسلم فقال له ماتقدم لان أولئك انما قالوا ذلك غضبا لله لكمال ماعندهم من الموالاة لله ورسوله والمعاداة لاعدائه ولهذا قال النبي صلى الله عليه وسلم فى الحديث الصحيح فيما يروى عن ربه «لايزال عبدى يتقرب الى بالنوافل حتى أحبه فاذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذى يبصر به ويده التى يبطش بها ورجله التى يمشى بها فبى يسمع وبى يبصر وبى يبطش وبي يمشى ولئن سألني لاعطينه ولئن استعاذنى لاعيذنه وما ترددت عن شيء أنا فاعله ترددى عن قبض نفس عبدى المؤمن يكره الموت وأنا أكره مساءته ولابد له منه» فبين انه يتردد لان التردد تعارض ارادتين وهو سبحانه يحب مايحب عبده ويكره مايكرهه وهو يكره الموت فهو يكرهه كما قال وانا أكره مساءته وهو سبحانه قد قضي بالموت فهو يريد ان يموت فسمى ذلك تردد اثم بين انه لابد من وقوع ذلك وهذا اتحاد فى المحبوب والمرضى المأمور به والمبغض المكروه المنهى عنه

وقد يقال انه اتحاد نوعى وصفي وليس ذلك اتحاد النوعين فان ذلك ممتنع والقائل به كافر وهو قول النصارى والغالية من الرافضة والنساك كالحلاجية ونحوهم وهو الاتحاد المقيد في شى بعينه . وأما الاتحاد المطلق الذى هو قول أهل وحدة الوجود والذين يزعمون ان وجود المخلوق هو عين وجود الخالق فهذا تعطيل للصانع وجحود له وهو جامع لكل شرك فكما ان الاتحاد نوعان فكذلك الحلول نوعان قوم يقولون بالحلول المقيد فى بعض الأشخاص وقوم يقولون بحلوله في كل شىء وهم الجهمية الذين يقولون ان ذات الله في كل مكان . وقد يقع لبعض المعطلين من أهل الفناء في المحبة أنه يغيب بمحبوبه عن نفسه وحبه ويغيب بمذكوره عن ذكره وبمعروفه عن معرفته وبموجوده عن وجوده حتى لا يشهد الا بمحبوبه فيظن في زوال تمييزه ونقص عقله وسكره انه هو محبوبه كما قيل ان محبوبا وقع في اليم فالقى المحب نفسه خلفه فقال أنا وقعت فانت ما الذى أوقعك فقال غبت بك عنى فظننت انك أنا فلا ريب ان هذا خطأ وضلال لكن ان كان هذا لقوة المحبة والذكر من غير أن يحصل عن سبب محظور زال به عقله كان معذوراً فى زواله فلا يكون مؤاخذا بما يصدر منه من الكلام فى هذه الحال التي زال فيها عقله بغير سبب محظور كما قيل فى عقلاء المجانية انهم قوم آتاهم الله عقولا وأحوالا فسلب عقولهم وأبقى أحوالهم وأسقط ما فرض بما سلب وأما اذا كان السبب الذى به زوال العقل محظورا لم يكن السكران معذورا وان كان لا يحكم بكفره في أصح القولين كما لا يقع طلاقه في اصح القولين وان كان الزرع في (١) مشهور قد بسطنا

(١) هكذا الاصل فينظر

الكلام فى هذا وفيمن يسلم له حاله ومن لا يسلم في قاعدة ذلك وبكل حال فالفناء الذى يفضى بصاحبه الى مثل هـذا حال ناقص وان كان صاحبه غير مـكلف ولهذا لم يرد مثل هذا على الصحابة الذين هم أفضل الأمة ولا على نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وان كان لهـؤلاء في صعق موسى نوع تعلق وانما حدث زوال العقل عند الواردات الالهية على بعض التابعين ومن بعدهم وان كانت المحبة تامة موافقة لمحبة المحبوب فى محبوبه ومكروهه في هذه الأمة وولايته وعداوته فمن المعلوم ان من أحب الله المحبة الواجبة فلا بد أن يبغض اعداءه ولا بد ان يحب مايحبه من جهـادهم كما قال تعالى (ان الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفاً كأنهم بنيان مرصوص) والمحب التام لا يؤثر فيه لوم اللائم وعذل العاذل بل ذلك يعرفه بملازمة المحبة كما قد أكثر الشعراء في ذلك وهؤلاء هم اهل الملام المحمود وهم الذين لا يخافون من يلومهم على ما يحب الله ويرضاه من جهاد اعدائه فان الملام على ذلك كثير واما الملام على فعل ما يكرهه الله أو ترك ما أحبه فهو لوم بحق وليس من ذلك المحمود الصبر على هذا الملام بل الرجوع الى الحق خير من التمادى فى الباطل وبهذا يحصل الفرق بين الملامة على ما يحبه الله ورسوله ولا يخافون لومة لائم في ذلك وبين الملامية الذين يفعلون ما يبغضه الله ورسوله ويصبرون على الملام في ذلك ☆

فصل

واذا كانت المحبة اصل كل عمل دينى فالخوف والرجاء وغيرهما يستلزم المحبة ويرجع اليها فان الراجي الطامع انما يطمع فيما يحبه لا فيما يبغضه

والخائف يفر من الخوف لينال المحبوب. قال تعالى (أولئك الذين يدعون يبتغون الى ربهم الوسيلة ايهم أقرب ويرجون رحمته ويخافون عذابه) الآية. وقال (ان الذين آمنوا والذين هاجروا وجاهدوا في سبيل الله أولئك يرجون رحمة الله) ورحمته اسم جامع لكل خير. وعذابه اسم لكل شر. ودار الرحمة الخالصة هي الجنة ودار العذاب الخالص هي النار وأما الدنيا فدار استدراج فالرجاء وإن تعلق بدخول الجنة فالجنة اسم جامع لكل نعيم وأعلاه النظر الى وجه الله كما في صحيح مسلم عن عبد الرحمن بن أبي ليلى عن صهيب عن النبي صلى الله عليه وسلم قال «اذا دخل اهل الجنة الجنة نادى مناد يا اهل الجنة ان لكم عند الله موعدا يريد ان ينجزكموه فيقولون ما هو ألم تبيض وجوهنا ألم تثقل موازيننا وتدخلنا الجنة وتنجينا من النار قال فيكشف الحجاب فينظرون اليه فما أعطاهم شيئاً أحب اليهم من النظر اليه» وهو الزيادة ومن هنا يتبين زوال الاشتباه في قول من قال ما عبدتك شوقا الى جنتك ولا خوفا من نارك وانما عبدتك شوقا الى رؤيتك فان هذا القائل ظن هو ومن تابعه ان الجنة لا يدخل في مسماها الا الأكل والشرب واللباس والنكاح والسماع ونحو ذلك مما فيه التمتع بالمخلوقات كما يوافق على ذلك من ينكر رؤية الله من الجهمية أو من يقر بها ويزعم انه لا يتمتع في نفس رؤية الله كما يقوله طائفة من المتفقهة فهؤلاء متفقون على ان مسمي الجنة والآخره لا يدخل فيه الا التمتع بالمخلوقات ولهذا قال بعض من غلط من المشائخ لما سمع قوله (منكم من يريد الدنيا ومنكم من يريد الآخرة) قال فأين من يريد الله وقال آخر (ان الله اشترى من المؤمنين أنفسهم واموالهم بأن لهم الجنة) قال اذا كانت النفوس والاموال

بالجنة فاين الناظر ون اليه وكل هذا لظنهم ان الجنة لا يدخل فيها النظر والتحقيق ان الجنة هي الدار الجامعة لكل نعيم وأعلى ما فيها النظر الى وجه الله وهو من النعيم الذى ينالونه فى الجنة كما أخبرت به النصوص وكذلك أهل النار وانهم محجوبون عن ربهم يدخلون النار مع أن هذا قائل هذا القول اذا كان عارفا بما يقول فانما قصده انك لو لم تخلق نارا او تخلق جنة لكان يجب ان تعبد ويجب التقرب اليك كما قال عمر رضى الله عنه نعم العبد صهيب لو لم يخف الله لم يعصه أى هو لم يعصه ولو لم يخفه فان اجلاله واكرامه لله يمنعه من معصيته. والراجى الخائف اذا تعلق خوفه ورجاؤه بالتعذيب باحتجاب الرب عنه والتنعم بتجليه فمعلوم ان هذا من أنواع محبته له فالمحبة هى اوجبت محبته بالتجلى والخوف من الاحتجاب. وان تعلق خوفه ورجاؤه بالتعذيب بمخلوق والتنعم به فهذا انما يطلب ذلك بعبادة الله محبته لله وحدها أحلى من كل محبة ولهذا يكون اشتغال أهل الجنة بذلك أعظم من كل شيء كما في الحديث ان اهل الجنة يلهمون التسبيح كما تلهمون وهو يبين غاية نفعهم بذكر الله ومحبته. فالخوف من التعذيب بمخلوق والرجاء له يسوقه الى محبة الله التي هي الاصل وهذا كله ينبنى على اصل المحبة فيقال قد نطق الكتاب والسنة بمحبة العباد المؤمنين كما في قوله (والذين آمنوا أشد حبا لله) وقوله (يحبهم ويحبونه) وقوله (أحب اليكم من الله ورسوله وجهاد في سبيله) وفى الصحيحين عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال «ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الايمان ان يكون الله ورسوله أحب اليه مما سواهما وان يحب المرء لا يحبه الا لله وأن يكره ان يرجع في الكفر بعد ان أنقذه الله منه كما يكره أن يلقي في

النار » بل محبة رسول الله صلى الله عليه وسلم وجبت بمحبة الله كما في قوله (أحب اليكم من الله ورسوله) وكما فى الصحيحين عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال «والذى نفسى بيده لايؤمن أحدكم حتى أكون أحب اليه من ولده ووالده والناس أجمعين» وفي صحيح البخاري عن عمر بن الخطاب انه قال «والله يارسول الله لانت أحب الى من كل شيء الا من نفسى فقال لا ياعمر حتى أكون أحب اليك من نفسك فقال والله لانت أحبّ الى من نفسى» وكذلك محبة صحابته وقرابته كما في الصحيح عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال «آية الايمان حب الأنصار وآية النفاق بغض الانصار» وقال «لايبغض الأنصار رجل يؤمن بالله واليوم الآخر» وقال على رضى الله عنه «انه لعهد النبى الامى الى ان لا يحبنى الا مؤمن ولا يبغضني الا منافق» وفي السنن انه قال للعباس «والذى نفسى بيده لايدخلون الجنة حتى يحبونكم لله ولقرابتى» يعنى بنى هاشم. وقد روى حديث عن ابن عباس مرفوعا انه قال «احبوا الله لما يغذوكم به من نعمه وأحبونى بحب الله وأحبوا اهل بيتى لاجلى[1]» ☆

وأما محبة الرب لعبده فقال تعالى (واتخذ الله ابراهيم خليلا) وقال تعالى (يحبهم ويحبونه) وقال (وأحسنوا ان الله يحب المحسنين) (وأقسطوا ان الله يحب المقسطين) (فاتموا عهدهم الى مدتهم ان الله يحب المتقين) (فما استقاموا لكم فاستقيموا لهم ان الله يحب المتقين) (ان الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفا كأنهم بنيان مرصوص) (بلى من أوفى بعهده واتقى فان الله يحب المتقين) وأما محبة الاعمال التي يحبها الله

(١) الحديث رواه الترمذى والحاكم

الواجباب والمستحبات الظاهرة والباطنة فكثيرة معروفة وكذلك حبهم لله وهم المؤمنون أولياء الله المتقون وهذه المحبة كما نطق بها الكتاب والسنة والذى عليه سلف الامة وأئمتها وأهل السنة والحديث وجميع مشائخ الدين وأئمة التصوف أن الله محبوب لذاته محبة حقيقه بل هى اكمل محبة فانها كما قال تعالى (والذين آمنوا أشد حبا لله) وكذلك هو سبحانه يحب ما يحب عباده المؤمنون وماهو فى الله محبة حقيقة. وأنكر الجهمية حقيقة المحبة من الطرفين زعما منهم أن المحبة لاتكون الا مناسبة بين المحب والمحبوب وأنه لامناسبة بين القديم والمحدث توجب محبته وقاسوا به المحبة وكان أول من أحدث هذا في الاسلام الجعد بن درهم فى أوائل المائة الثالثة فضحى به خالد بن عبدالله القشيرى أمير العراق والمشرق بواسط خطب الناس يوم الاضحى فقال أيها الناس ضحوا يقبل الله ضحاياكم فانى مضح بالجعد بن درهم أنه زعم أن الله لم يتخذ ابراهيم خليلا ولم يكلم موسى تكليما ثم نزل فذبحه فكأنه قد أخذ هذا المذهب عن الجعد بن صفوان فأظهره عليه واليه أضيف قول الجهمية فقتله مسلم بن أحوز أمير خراسان بها ثم نقل ذلك الى المعتزلة عمرو بن عبيد وأظهر قولهم في زمن الخليفة الملقب بالمأمون حتى أمتحن أئمة الاسلام ودعوا الى الموافقة لهم على ذلك . وأصل هذا مأخوذ عن المشركين والصابئة من البراهمة والمتفلسفة ومبتدعة أهل الكتاب الذين يزعمون أن الرب ليس له ثبوتية أصلا وهؤلاء هم أعداء ابراهيم الخليل عليه السلام وهم يعبدون الكواكب ويبنون الهياكل في المعقول والنجوم وغيرهما وهم ينكرون في الحقيقة أن يكون ابراهيم خليلا وموسى كليما وأن الخلة

هى كمال المحبة المستغرقة للحب كما قيل .

قد تخللت مسلك الروح منى ✡ وبذا سمى الخليل خليـلا

ويشهد لهذا ما ثبت في الصحيح عن أبى سعيد عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال «لو كنت متخذا من أهل الارض خليلا لاتخذت أبا بكر خليلا ولـكن صاحبكم خليل الله» يعني نفسه . وفي رواية «انى أبرأ الى كل خليل من خلته ولو كنت متخذا من أهل الارض خليلا لاتخذت أبا بكر خليلا» وفى رواية «ان الله اتخذنى خليـلا كما اتخذ ابراهيم خليلا» فبين صلى الله عليه وسلم أنه لا يصلح له أن يتخذ من المخلوقين خليلا وأنه لو يكون ذلك لـكان أحق الناس بها أبا بكر الصديق رضى الله عنه مع أنه صلى الله عليه وسلم قد وصف نفسه بأنه يحب أشخاصا كما قال لمعاذ «انى لأحبك» وكذلك قوله للانصار وكان زيد بن حارثة حب رسول الله صلى الله عليه وسلم وكذلك ابنه أسامة حبه وأمثال ذلك ✡ وقال عمرو ابن العاص «أي الناس أحب اليك قال عائشة قال فمن الرجال قال أبوها» . وقال لفاطمة رضى الله عنها «ألا تحبين ما احب قالت بلى قال فاحبى عائشة» . وقال للحسن «اللهم انى أحبه فأحبه وأحب من يحبه . وأمثال هذا كثير فوصف نفسه بمحبة الاشخاص وقال «انى ابرأ الى كل خليل من خلته ولو كنت متخذا من أهل الارض خليلا لاتخذت أبا بكر خليلا» فعلم أن الخلة أخص من مطلق المحبـة بحيث هى من كمالها وتخللها المحب يكون المحبوب بها محبوبا لذاته لا لشيء آخر والمحبوب لشيء غيره هو موجب في المحبـة عن ذلك الغير (١) ومن كمالها لا تقبل الشركة المتزاحمـة

(١) هكذا الاصل ولم يكن لدينا غير هذه النسخة وهي سقيمة جداً فتنبه

لتخللها الحب ففيها كمال التوحيد وكمال الحب * ومن الخلة أيضا تنافي المزاحمة وتقدم الغير بحيث يكون المحبوب محبوبا لذاته لا يزاحمه فيها غيره وهذه محبة لا تصلح الا لله فلا يجوز ان يشركه غيره فيما يستحقه وهو محبوب لذاته وكل مايحب غيره اذا كان محبوبا بحق فانما يحب لاجله وكل ما أحب لغيره فمحبته باطلة في الدنيا ملعونة ملعون ما فيها الاماكان لله تعالى . فاذا كانت الخلة كذلك فمن المعلوم ان من انكر ان يكون الله محبوبا لذاته ينكر مخاللته . وكذلك ايضا ان انكر محبته لاحد من عباده فقد انكر ان يتخذه خليلا بحيث يحب الرب العبد على الأكمل ما يصلح للعبادة . وكذلك تكليمه لموسى انكروه لانكارهم ان يكون به صفة من الصفات او فعل من الافعال فكما ينكرون ان يتصف بحياة او قدرة أو علم او ان يستوى أو أن يجيء فكذلك ينكرون ان يتكلم او يكلم فهذا حقيقة قولهم (كذلك قال الذين من قبلهم مثل قولهم تشابهت قلوبهم) لكن لما كان الاسلام ظاهرا والقرآن متلوا لا يمكن جحده لمن اظهر الاسلام أخذوا يلحدون في اسماء الله ويحرفون الكلم عن مواضعه فتأولوا محبة العباد له بمجرد محبتهم لطاعته والتقرب اليه وهذا جهل عظيم فان التقرب اليه تابع لمحبته وفرع عليه فمن لا يحب الشيء لا يمكن ان يحب التقرب اليه اذ التقرب وسيلة ومحبة الوسيلة تبع لمحبة المقصود فيمتنع ان تكون الوسيلة الى المحبوب دون الشيء المقصود بالوسيلة . وكذلك العبادة والطاعة اذا قيل في المطاع المعبود ان هذا يحب طاعته وعبادته فان محبته ذلك تبع لمحبته والا فمن لا يحب لا يحب طاعته وعبادته ومن كان لا يعمل لغيره الا لعوض يناله منه او لدفع عقوبة فانه يكون معاوضا له او مفتديا منه

ولايكون محبا له .ولايقال ان هذايحبه.وتفسير ذلك محبته طاعته وعبادته فان محبة المقصود ان استلزمت محبة الوسيلة أو غير محبة المقصود عن (١) محبة الوسيلة فان ذلك يقتضى ان يعبر بلفظين محبة العوض والسلامة عن محبة العمل أما محبة الله فلا تعلق لها بمجرد محبة العوض الا ترى ان من استأجر اجيرا بعوض لا يقال ان الاجير يحبه بمجرد ذلك بل قد يستأجر الرجل من لا يحبه بحال بل من يبغضه وكذلك من افتدى نفسه بعمل من عذاب معذب لا يقال انه يحبه بل يكون مبغضا له فعلم أن ما وصف الله به من عباده المؤمنين من انهم يحبونه يمتنع ان يكون معناه بمجرد محبة العمل الذى ينالون به بعض الأغراض المحبوبة من غير ان يكون ربهم محبوبا لا يحب اصلا . وأيضا فلفظ العبادة متضمن للمحبة مع الذل كما تقدم ولهذا كانت محبة القلب للبشر على طبقات . احدها العلاقة فهو تعلق القلب بالمحبوب.ثم الصبابة وهو انصباب القلب اليه. ثم الغرام وهو الحب اللازم. ثم العشق وآخر المراتب هو التيم وهو التعبد للمحبوب والمتيم المعبود وتيم الله عبد الله فان المحب يبقي ذاكرا معبداً مذللا لمحبوبه وايضا فاسم الانابة اليه يقتضى المحبة ايضا وما أشبه ذلك من الاسماء كما تقدم وايضا فلو كان الذى قالوه حقا لكان ذلك مجازا لما فيه من الحذف والاضمار والمجاز لا يطلق الا بقرينة تبين المراد ومعلوم ان في كتاب الله وسنة رسوله ما ينفى أن يكون الله محبوبا وان لا يكون محبوبا الا بالأعمال في الدلالة المتصلة ولا المنفصلة ولا في العقل أيضا فمن علامات المجاز صحة اطلاق نفسه فيجب ان

(١) هكذا الاصل والمعنى ظاهر الا ان التركيب ركيك

يصح اطلاق القول بان الله لا يحب ولا يحب كما اطلق امامهم الجعد بن درهم ان الله لم يتخذ ابراهيم خليلا ولم يكلم موسى تكليما وان هذا ممتنع باجماع المسلمين فعلم دلالة الاجماع على ان هذا ليس اجماعا بل هي حقيقة وايضا فقد فرق بين محبته ومحبة العمل له في قوله (احب اليكم من الله ورسوله وجهاد في سبيله) كما فرق بين محبته ومحبة رسوله في قوله (أحب اليكم من الله ورسوله) فلو كان المراد بمحبته ليس محبة الاصل لكان هذا تكريرا ومن باب الخاص على العام وكلاهما على خلاف ظاهر الكلام الذي لا يجوز المصير اليه الا بدلالة تبين المراد . وكما ان محبته لا يجوز ان تفسر بمحبة رسوله فكذلك لا يجوز تفسيرها بمجرد محبة العمل وان كانت محبته تستلزم محبة رسوله ومحبة العمل له وايضا فالتعبير بمحبة الشيء عن مجرد محبة طاعته لا عن محبة نفسه امر لا يعرف في اللغة حقيقة ولا مجازا فحمل الكلام عليه تحريف محض . وقد قررنا في موضع من القواعد الكبار انه لا يجوز ان يكون غير الله محبوبا مرادا لذاته كما لا يجوز ان يكون غير الله موجودا بذاته بل لا رب الا الله ولا اله غيره . والاله هو المعبود الذي يستحق ان يحب لذاته ويعظم لذاته كمال المحبة والتعظيم وكل مولود يولد على الفطرة فانه سبحانه فطر القلوب على ان ليس في محبوباتها ومراداتها ما تطمئن اليه الا الله وحده وان كل ما أحبه المحبوب فمطعوم وملبوس ومنظور وملموس يحب من نفسه وان قلبه يطلب سواه ويحب أمرا غيره يتألهه ويصمد اليه ويرى ما يشبهه من هذه الاجناس ولهذا قال الله تعالى في كتابه (ألا بذكر الله تطمئن القلوب) وفي الصحيح عن عياض بن حمار عن النبي صلى الله عليه وسلم عن الله قال «اني خلقت عبادي حنفاء فاجتالتهم الشياطين وحرمت

عليهم ما أحللت لهم وأمرتهم ان يشركوا بي ما لم أنزل به سلطانا» كما في الصحيحين عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم «انه قال كل مولود يولد على الفطرة فابواه يهودانه وينصرانه ويمجسانه كما تنتج البهيمة بهيمة جمعاء هل تحسون فيها من جدعاء ثم يقول ابو هريرة اقرؤا ان شئتم فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم» وايضا فكل ما فطرت القلوب على محبته من نعوت الكمال فالله هو المستحق لكل الكمال وكل ما في غيره من محبوب فهو منه سبحانه وتعالى فهو المستحق لان يحب على الحقيقة والكمال وانكار محبة العبد لربه هو في الحقيقة انكار ان يكون الها معبودا كما ان انكار محبته لعبده يستلزم انكار مشيئته وهو يستلزم انكار كونه رباخالقا فصار انكارها مستلزما لانكار كونه رب العالمين ولكونه اله العالمين وهذا قول اهل التعطيل والجحود ولهذا اتفقت الأمتان قبلنا على ما عندهم من أمور وأحكام موسى وعيسى ان أعظم الوصية التي أتانا بها موسى أن تحب الله بكل قلبك وعقلك وهو حقيقة الحنيفية التي هي ملة ابراهيم التي هي أصل في التوراة والانجيل والقرآن وانكار ذلك هو مأخوذ من مقال الصابئين أعداء ابراهيم الخليل ومن وافقهم على ذلك من متفلسف أو متكلم أو متفقه أخذ عن هؤلاء وظهر ذلك في القرامطة الباطنية من الاسماعيلية ولهذا قال الخليل امام الحنفاء (أفرأيتم ما كنتم تعبدون أنتم وآباؤكم الأقدمون فانهم عدو لي الا رب العالمين) وقال أيضا (لا أحب الآفلين) وقال تعالى (يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم) وهو السليم من الشرك. وأما قولهم انه لا مناسبة بين المحدث والقديم توجب محبته له ويمنعه بالنظر اليه فهذا

الكلام مجمل فان أرادوا بالمناسبة أنه ليس بوالد فهذا حق وان أرادوا أنه ليس بينهما من المناسبة ما بين الناكح والمنكوح والآكل والمأكول ونحو ذلك فهذا أيضا حق وان أرادوا نه لا مناسبة بينهما توجب أن يكون أحدهما محباً عابداً والآخر معبوداً محبوباً فهذا هو رأس المسألة والاحتجاج به مصادرة على المطلوب ويكفى في ذلك المنع .ثم يقال بل لا مناسبة تقتضي المحبة الكاملة الا المناسبة التي بين المخلوق والخالق الذى لا اله غيره الذى هو في السماء اله وفي الأرض اله وله المثل الأعلى في السموات والأرض.وحقيقة قول هؤلاء أنهم جحدوا كون الله معبودا في الحقيقة ولهذا وافق على هذه المسألة طوائف من الصوفية المتكلمين الذين ينكرون أن يكون الله محبا في الحقيقة فأقروا بكونه محبوبا ومنعوا كونه محبا لانهم تصوفوا مع ما كانوا عليه من قول أولئك المتكلمة فأخذوا عن الصوفية مذهبهم في المحبة فأما محبة الرب عبده فهم لها أشد إنكارا . ومنكروها قسمان. قسم يتأولونها بنفس المعقولات التى يحبها العبد فيجعلون محبته نفس خلقه وقسم يجعلونها نفس ارادته لتلك المعقولات وقد بسطنا الكلام في ذلك في قواعد الصفات والقدر فليس هذا موضعها . ومن المعلوم أنه قد دل الكتاب والسنة واتفاق الامة على أن الله يحب ويرضي ما أمر بفعله من واجب ومستحب وان لم يكن ذلك موجوداً على أنه قد يريد وجود أمور يبغضها من الاعيان والافعال كالفسق والكفر وقد قال الله تعالى (والله لا يحب الفساد) وقال تعالى (ولا يرضى لعباده الكفر) والمقصود هنا انما هو في ذكر محبة الله ☆

وقد تبين أن ذلك هو أصل أعمال الايمان ولم يتبين بين

أحد من سلف الامة من الصحابة والتابعين لهم باحسان نزاع فى ذلك وكانوا يحركون هذه المحبة بما شرع الله أن يحرك به من أنواع العبادات الشرعية كالعرفان الايماني والسماع الفرقانى، قال تعالى (وكذلك أوحينا اليك روحا من أمرنا ما كنت تدرى ما الكتاب ولا الايمان) الى آخر السورة ثم انه لما طال الأمد صار فى طوائف المتكلمة من المعتزلة وغيرهم من ينكر هذه المحبة. وصار فى بعض المتصوفة من ينكر ان يطلب تحريكها بانواع من سماع الحديث كالتغبير (١) وسماع المكاء والتصدية فيسمعون من الاقوال والأشعار مافيه تحريك جنس الحب الذى يحرك من كل قلب مافيه من الحب بحيث يصلح لحب الأوتار والغلمان والاخوان والأوطان والمردان والنسوان كما يصلح لحب الرحمان ولكن كان الذين يحضرونه من الشيوخ يشترطون له المكان والامكان والخلان وربما اشترطوا له الشيخ يحرس به من الشيطان ثم توسع فى ذلك غيرهم حتى خرجوا فى ذلك الى نوع من المعاصى بل الى نوع من الفسوق بل خرج فيه طوائف الى الكفر الصريح بحيث يتواجدون على انواع من الاشعار التى فيها الكفر والالحاد مما هو من أعظم أنواع الفساد وينتج ذلك لهم من الاحوال بحسبه كما ينتج لعباد المشركين وأهل الكتاب عباداتهم بحسبها والذى عليه محققوا المشائخ انه كما قال الجنيد رحمه الله فمن تكلف السماع فتن به ومن صادفه استراح به ومنع ذلك أنه لا يشرع الاجتماع لهذا السماع المحدث ولا يؤمر به ولا يتخذ دينا

(١) ذكر الحافظ ابو الفرج ابن الجوزى في كتابه تلبيس ابليس ان المغيرة قوم يغيرون ذكر الله بدعاء وتضرع وقد سموا مايطربون فيه من الشعر في ذكر الله عزوجل تغييرا . وقال كان الشافعى يكره التغبير اه وفى تركيب الكلام هنا من الخفاء مايتنبه له

وقربة وأن القرب والعبادات انما تؤخذ عن الرسل صلوات الله وسلامه عليهم فكما انه لاحرام الا ما حرمه الله لادين الا ماشرعه الله . قال الله تعالى (أم لهم شركاء شرعوا لهم من الدين مالم يأذن به الله) ولهذا قال (قل ان كنتم تحبون الله فاتبعونى يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم) فجعل محبتهم لله موجبة لمتابعة رسوله وجعل متابعة رسوله موجبة لمحبة الله لهم قال أبى ابن كعب رضى الله عنه عليكم بالسبيل والسنة فانه ما من عبد على السبيل والسنة ذكر الله فاقشعر جلده من مخافة الله الا تحاتت خطاياه كما يتحات الورق اليابس عن الشجرة وما من عبد على السبيل والسنة ذكر الله خاليا ففاضت عيناه من مخافة الله الا لم تمسه النار ابدا وان اقتصادا فى سبيل وسنة خير من اجتهاد في غير سبيل وسنة فاحرصوا ان تكون اعمالكم اقتصادا واجتهادا على منهاج الانبياء وسنتهم وهذا مبسوط في غير هذا الموضع فلو كان هذا مما يؤمر به ويستحب وتصلح به القلوب للمعبود والمحبوب لكان ذلك مما دلت الأدلة الشرعية عليه ومن المعلوم انه لم يكن في القرون الثلاثة المفضلة التى قال فيها النبى صلى الله عليه وسلم «خير القرون قرنى الذى بعثت فيه ثم الذى يلونهم ثم الذى يلونهم» لافي الحجاز ولا في الشام ولافي اليمن ولا فى العراق ولا في مصر ولا في خراسان احد من اهل الخير والدين يجمع على السماع المبتدع لصلاح القلوب ولهذا كرهه الامام احمد وغيره وعده الشافعى من احداث الزنادقة حين قال خلفت ببغداد شيئا أحدثه الزنادقة يسمونه التغبير يصدون به الناس عن القرآن. وأما مالا يقصده الانسان من الاستماع لايترتب عليه نهى ولاذم باتفاق الائمة ولهذا انما

يترتب الذم والمدح على الاستماع لا على السماع فالمستمع للقرآن يثاب عليه والسامع له من غير قصد لا يثاب على ذلك اذ الاعمال بالنيات. وكذلك ما ينهى عن استماعه من الملاهي لو سمعه السامع بدون قصد لم يضره ذلك فلو استمع السامع بيتا يناسب بعض حاله تحرك سا كنه المحمود وازعج قاطنه المحبوب او بمثل ذلك ونحو ذلك لم يكن ذلك مما ينهى عنه وان كان المحمود الحسن حركة قلبه التي يحبها الله ورسوله الى التي تتضمن فعل ما يحبه الله وترك ما يكرهه كالذي اجتاز ببيت فسمع قائلا يقول *كل يوم تتلون* غير هذا بك أجمل ☆ فاخذ منه اشارة تناسب حاله فان الاشارة من باب القياس والاعتبار وضرب الامثال ومسألة السماع كبيرة منتشرة قد تكلمنا عليها في غير هذا الموضع والمقصود ههنا ان المقاصد المطلوبة للمريدين تحصل بالسماع الايماني القرآني النبوي الديني الشرعي الذي هو سماع النبيين وسماع العالمين وسماع العارفين وسماع المؤمنين. قال الله تعالى (أولئك الذين انعم الله عليهم من النبيين من ذرية آدم) الى قوله (اذا تتلى عليهم آيات الرحمن خروا سجداً وبكيا) وقال تعالى (ان الذين أوتوا العلم من قبله اذا يتلى عليهم يخرون للاذقان سجداً) الى قوله (ويزيدهم خشوعا) وقال تعالى (واذا سمعوا ما انزل الى الرسول ترى أعينهم تفيض من الدمع مما عرفوا من الحق) وقال تعالى (انما المؤمنون الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم واذا تليت عليهم آياته زادتهم ايمانا) الآية. وقال تعالى (الله نزل احسن الحديث كتابا متشابها مثاني تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم) الآية وكما مدح المقبلين على هذا السماع فقد ذم المعرضين عنه في مثل قوله (ومن الناس من يشتري لهو الحديث ليضل عن سبيل الله بغير علم ويتخذها هزوا) الى قوله (واذا

تتلى عليه اياتنا ولى مستكبرا كأن لم يسمعها) الآية. وقال تعالى (والذين اذا ذكروا بآيات ربهم لم يخروا عليها صما وعميانا) وقال تعالى (ولو علم الله فيهم خيرا لأسمعهم) الآية. وقال تعالى (وقال الذين كفروا لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه لعلكم تغلبون) وقال تعالى (فمالهم عن التذكرة معرضين كأنهم حمر مستنفرة فرت من قسورة) ومثل هذا كثير فى القرآن وهذا سماع سلف الأمة واكابر مشائخها وائمتها كالصحابة والتابعين ومن بعدهم من المشائخ كابراهيم بن أدهم والفضيل بن عياض وابى سليمان الدارانى ومعروف الكرخى ويوسف بن أسباط وحذيفة المرعشى وامثال هؤلاء. وكان عمر بن الخطاب يقول لابى موسى الأشعرى يا ابا موسي ذكرنا ربنا فيقرأوهم يسمعون ويبكون. وكان أصحاب محمد اذا اجتمعوا امروا واحدا منهم ان يقرأ القرآن والباقى يستمعون. وقد ثبت في الصحيح «ان النبى صلى الله عليه وسلم مر بابى موسى الأشعرى وهو يقرأ فجعل يستمع لقراءته وقال لقد أوتى هذا مزمارا من مزامير داود فقال مررت بك البارحة وأنت تقرأ فجعلت استمع لقراءتك فقال لو علمت انك تسمع لحبرتله لك تحبيرا» اى لحسنته لك تحسينا وقال «زينوا القرآن باصواتكم» وقال «الله اشد اذنا الى الرجل الحسن الصوت بالقرآن من صاحب القينة الى قينته» اذنا اى استماعا كقوله (وأذنت لربها وحقت) اى استمعت وقال صلى الله عليه وسلم «ما اذن الله لشيء ما اذن لنبى حسن الصوت يتغني بالقرآن يجهر به» وقال «ليس منا من لم يتغن بالقرآن» ولهذا السماع من المواجيد العظيمة والأذواق الكريمة ومزيد المعارف والأحوال الجسيمة مالا يسعه خطاب ولا يحويه كتاب كما ان في تدبر القرآن وتدبر بيانه تفهمه من مزيد العلم

والايمان مالا يحيط به بيان. ومما ينبغي التفطن له ان الله سبحانه قال في كتابه (قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله) قال طائفة من السلف ادعى قوم على عهد النبي صلى الله عليه وسلم انهم يحبون الله فانزل الله هذه الآية (قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله) الآية. فبين سبحانه ان محبته توجب اتباع الرسول وان اتباع الرسول يوجب محبة الله للعبد وهذه محبة امتحن الله بها أهل دعوى محبة الله فان هذا الباب يكثر فيه الدعاوى والاشتباه ولهذا يروى عن ذي النون المصري انهم تكلموا في مسئلة المحبة عنده فقال اسكتوا عن هذه المحبة لاتسمعها النفوس فتدعيها. وقال بعضهم من عبد الله بالحب وحده فهو زنديق ومن عبد الله بالخوف وحده فهو خارجي ومن عبده بالرجاء وحده فهو مرجيء ومن عبده بالحب والخوف والرجاء فهو مؤمن موحد. وذلك لان مجرد دعواه تنبسط النفوس فيه حتى يتسع في اهوائها اذا لم يدعها وادعى الخشية لله حتى قالت النصارى (نحن ابناء الله واحباؤه) ويوجد في مدعي المحبة من مخالفة الشريعة مالا يوجد في اهل الخشية ولهذا قرن الخشية بها في قوله (هذا ماتوعدون لكل اواب حفيظ من خشي الرحمن بالغيب وجاء بقلب منيب ادخلوها بسلام ذلك يوم الخلود) وقال تعالى (قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم) فاتباع سنة رسوله صلى الله عليه وسلم واتباع شريعته باطنا وظاهرا هي توجب محبة الله كما ان الجهاد في سبيله وموالاة اوليائه ومعاداة اعدائه هو حقيقتها كما في الحديث «أوثق عرى الايمان الحب في الله والبغض في الله» وفي الحديث «من احب لله وابغض لله وأعطى لله ومنع لله فقد استكمل المحبة» وكثير من يدعي المحبة وهو أبعد من غيره عن اتباع السنة وعن

الأمر بالمعروف وعن النهى عن المنكر والجهاد في سبيل الله ويدعى مع ذلك كمال طريق المحبة من غيره لزعمه ان طريق المحبة لله ليس فيه غيرة ولا غضب لله وهذا خلاف مادل عليه الكتاب والسنة ولهذا في الحديث المأثور «يقول الله تعالى يوم القيمة أين المتحابون بجلالى اليوم أظلهم فى ظلى يوم لاظل الاظلى» فقوله اين المتحابون بجلال الله تنبيه على مافي قلوبهم من اجلال الله وتعظيمه والتحاب فيه وبذلك يكونون حافظين لحدوده دون الذين لايحفظون حدوده لضعف الايمان في قلوبهم وهؤلاء الذين جاء فيهم الحديث «حقت محبتى للمتحابين في وحقت محبتي للمتجالسين في وحقت محبتى للمتزاورين في وحقت محبتي للمتباذلين في» والاحاديث في المتحابين لله كثيرة. وفي الصحيحين عن النبى صلى الله عليه وسلم من حديث أبى هريرة «سبعة يظلهم الله في ظله يوم لاظل الا ظله شاب نشأ في عبادة الله ورجل قلبه معلق بالمسجد اذا خرج منه حتى يرجع اليه ورجلان تحابا في الله واجتمعا وتفرقا عليه ورجل تصدق بصدقة فاخفاها حتى لاتعلم شماله ما انفقت يمينه ورجل ذكر الله خاليا ففاضت عيناه ورجل دعته امرأة ذات نسب وجمال فقال انى اخاف الله رب العالمين» وأصل المحبة هو معرفة الله سبحانه وتعالى ولها أصلان احدهما وهو الذى يقال له محبة العامة لاجل احسانه الى عباده وهذه المحبة على هذا الاصل لاينكرها احد فان القلوب مجبولة على حب من أحسن اليها وبغض من اساء اليها والله سبحانه هو المنعم المحسن على عبده بالحقيقة فانه المتفضل بجميع النعم وان جرت بواسطة اذ هو ميسر الوسائط ومسبب الأسباب لكن هذه المحبة اذا لم تجذب القلب الى محبة الله نفسه فما احب العبد في الحقيقة

الا نفسه وهذا ليس بمذموم بل محمود. وهذه المحبة هي المشار اليه بقوله «احبوا الله لما يغذوكم به من نعمه واحبوني لحب الله واحبوا أهل بحبي» والمقتصر على هذه المحبة هو لم يعرف من جهة الله ان يحبه الا الاحسان اليه وهذا كما قالوا ان الحمد لله على نوعين. حمد هو شكر وذلك لا يكون الاعلي نعمه. وحمد هو ثناء عليه وهو مما يستحقه لنفسه سبحانه فكذلك الحب فان الأصل الثاني هو محبته لما هو أهل هذا حب من عرف من الله ما يستحق ان يحب لاجله وما من وجه من الوجوه التي يعرف بها مما دلت اسماؤه وصفاته الا وهو يستحق المحبة الكاملة من ذلك الوجه حتي جميع مفعولاته اذ كل نعمة منه فضل وكل نقمة منه عدل ولهذا استحق ان يكون محمودا على كل حال وهذا أعلى وأكمل وهذا حب الخاصة وهؤلاء هم الذين يطلبون لذة النظر الى وجهه الكريم ويتلذذون بذكره ومناجاته ويكون ذلك لهم أعظم من الماء للسمك لو انقطعوا عن ذلك لوجدوا من الألم ما لا يطيقون وهم السابقون كما في صحيح مسلم عن أبي هريرة قال «مر النبي صلى الله عليه وسلم بجبل يقال له جمدان فقال سيروا هذا جمدان سبق المفردون قالوا يا رسول الله من المفردون قال الذاكرون الله كثيرا والذاكرات» وفي رواية أخرى قال (المستهترون بذكر الله يضع الذكر عنهم أثقالهم فيأتون يوم القيامة وهم خفافا» وفي حديث هارون بن عسرة عن أبيه عن ابن عباس رضى الله عنهما قال «قال موسي يارب أى عبادك أحب اليك قال الذى يذكرني ولا ينساني قال أى عبادك أعلم قال الذى يطلب علم الناس الى علمه ليجد كلمة تدل على هدى أو ترده عن ردى قال أي عبادك أحكم

قال الذي يحكم على نفسه كالذى يحكم على غيره ويحكم لغيره كما يحكم لنفسه » فذكر في هذا الحب والعلم والعدل وذلك جماع الخير ومما ينبغى التفطن له أنه لا يجوز أن يظن فى باب محبة الله تعالى ما يظن في محبة غيره مما هو من جنس التجنى والهجر والقطيعة لغير سبب ونحو ذلك مما قد يغلط فيه طوائف من الناس حتي يتمثلون فى حبه بجنس ما يتمثلون به في حب من يصد ويقطع بغير ذنب أو يبعد من يتقرب اليه وان غلط في ذلك من غلط من المتمثلين في رسائلهم حتى يكون مضمون كلامهم اقامة الحجة على الله بل لله الحجة البالغة .وقد ثبت في الصحيحين عن أبى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال « يقول الله تعالى من ذكرنى فى نفسه ذكرته في نفسى ومن ذكرنى فى ملأ ذكرته في ملأ خير منه ومن تقرب الى شبرا تقربت اليه ذراعا ومن تقرب الى ذراعا تقربت اليه باعا ومن أتاني يمشى أتيته هرولة » وفي بعض الآثار يقول الله تعالى « أهل ذكرى أهل مجالسى وأهل شكري أهل زيارتى وأهل طاعتى أهل كرامتى وأهل معصيتي لا أيسهم من رحمتى ان تابوا فانا حبيبهم لان الله يحب التوابين وان لم يتوبوا فانا طبيبهم ابتليهم بالمصائب حتي اطهرهم من المعائب وقد قال تعالى (ومن يعمل من الصالحات وهو مؤمن فلا يخاف ظلما ولا هضما) قيل الظلم أن يحمل عليه سيئات غيره والهضم أن ينقص من حسنات نفسه. وقال تعالى (وما ظلمناهم ولكن كانوا انفسهم يظلمون) وفي الحديث الصحيح عن أبى ذر رضى الله عنه قال « يقول الله تعالى يا عبادى انى حرمت الظلم على نفسى وجعلته بينكم محرما فلا تظالموا يا عبادى كلكم ضال الا من هديته فاستهدوني اهدكم

يا عبادي عبادي كلكم جائع الا من اطعمته فاستطعموني أطعمكم يا عبادي كلكم عار الا من كسوته فاستكسوني أكسكم يا عبادي انكم تذنبون بالليل والنهار وأنا أغفر الذنوب جميعا فاستغفروني أغفر لكم يا عبادي انكم لم تبلغوا ضري فتضروني ولن تبلغوا نفعي فتنفعوني يا عبادي لو ان أولكم وآخركم وأنسكم وجنكم كانوا على اتقى قلب رجل منكم ما زاد ذلك في ملكي شيئا يا عبادي لو ان أولكم وآخركم وأنسكم وجنكم كانوا على أفجر قلب رجل منكم ما نقص ذلك من ملكي شيئا يا عبادي انما هي أعمالكم احصيها لكم ثم اوفيكم اياها فمن وجد خيرا فليحمد الله ومن وجد غير ذلك فلا يلومن الا نفسه » وما رواه البخاري عن شداد بن اوس « قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم سيد الاستغفار ان يقول العبد اللهم انت ربي لا اله الا أنت خلقتني وانا عبدك وانا على عهدك ووعدك ما استطعت اعوذ بك من شر ما صنعت ابؤ لك بنعمتك علي وابوء بذنبي فاغفر لي فانه لا يغفر الذنوب الا انت من قالها اذا اصبح موقنا بها فمات في يومه دخل الجنة ومن قالها اذا أمسى موقنا بها فمات من ليلته دخل الجنة » فالعبد دائما بين نعمة من الله يحتاج فيها الى شكر وذنب منه يحتاج فيه الى الاستغفار وكل من هذين من الأمور اللازمة للعبد دائما فانه لا يزال يتقلب في نعم من الله وآلائه ولا يزال محتاجا الى التوبة والاستغفار ولهذا كان سيد ولد آدم وامام المتقين يستغفر في جميع الاحوال . وقال صلى الله عليه وسلم في الحديث الصحيح الذي رواه البخاري « ايها الناس توبوا الى ربكم فاني أتوب الى الله في اليوم مائة مرة » وقال عبد الله بن عمر « كنا نعد لرسول الله صلى الله عليه وسلم في المجلس الواحد يقول رب اغفر لي وتب علي انك

أنت التر[illegible] حسم مائة مرة » وقال « اني لاستغفر الله وأتوب اليه في اليوم اتنين وسعين [illegible] وفي صحيح مسلم « انه قال انه ليغان على قلبي واني لاستغفر الله في اليوم مائة [illegible] ولهذا شرع الاستغفار في خواتيم الأعمال. قال تعالى (والمستغفرين [illegible] ار) وفي الصحيح « ان النبي صلى الله عليه وسلم كان اذا انصرف من صلاته استغفر ثلاثا وقال اللهم انت السلام ومنك السلام تباركت ياذا الجلال والاكرام » وقال تعالى (فاذا أفضتم من عرفات فاذكروا الله عند المشعر الحرام) الى قوله (واستغفروا الله ان الله غفور رحيم) وقد أمر الله نبيه بعد ان بلغ الرساله وجاهد في الله حق جهاده واتى بما أمر الله به مما لم يصل اليه عمره فقال (اذا جاء نصر الله والفتح ورأيت الناس يدخلون في دين الله افواجا فسبح بحمد ربك واستغفره انه كان توابا) ولهذا كان قوام الدين بالتوحيد والاستغفار كما قال الله تعالى (الر كتاب أحكمت آياته ثم فصلت من لدن حكيم خبير الا تعبدوا الا الله انني لكم منه نذير وبشير وان استغفروا ربكم ثم توبوا اليه يمتعكم متاعا حسناً) الآية. وقال تعالى (فاستقيموا اليه واستغفروه) وقال تعالى (فاعلم انه لا اله الا الله واستغفر لذنبك وللمؤمنين والمؤمنات) ولهذا جاء في الحديث « يقول الشيطان اهلكت الناس بالذنوب وأهلكوني بلا اله الا الله والاستغفار » وقال يونس (لا إله الا انت سبحانك اني كنت من الظلمين) وكان النبي صلى الله عليه وسلم « اذا ركب دابته يحمد الله ثم يكبر ثلاثاً ويقول لا اله الا أنت ظلمت نفسي فاغفر لي » وكفارة المجلس التي كان يختم بها المجلس والوضوء « سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا اله الا أنت استغفرك وأتوب اليك » والله أعلم وصلى الله على محمد وسلم .

تمت الرسالة والحمد لله

فهرست

(التحفة العـ)

صفحة

٢ بيان أن الناس في الاعمال القلبية على ثلاث درجات كما هم في أعمال الأبدان على ثلاث درجات

٤ بيان أن العبد الزاهد قد يكون مسخوطا عند الله ورسوله لما في قلبه من بدعة ونفاق

٤ الأمر بقتل الخوارج والمارقين من الدين كملحدى زماننا

٥ بيان أن من عمل بما علم آورثه الله علم ما لم يعلم

٦ الصدق يستلزم البر والكذب يستلزم الفجور

٨ الصدق والتصديق يكونان في الأقوال والأعمال

٩ أصل الدين في الحقيقة هو الامور الباطنة من العلوم والاعمال وأن الاعمال الظاهرة لا تنفع بدونها والدليل على ذلك

١٠ فصل بيان أن محبة الله والاخلاص له والتوكل عليه والرضا عنه ونحو ذلك من الاعمال الباطنة كلها مأمور بها في حق الخاصة والعامة

١٢ بيان ما حق الله على العباد وحق العباد على الله

١٣ التوكل والاستعانة للعبد هما الوسيلة والطريق الذى ينال به مقصوده ومطلوبه من العبادة

صف

٤ توكل وغلط بعض العلماء فيه

٦ ارادة الدينية والارادة الكونية ومثالهما من الايات القرآنية

١٧ العواقب التى خلق لها الناس سعادة وشقاوة ييسرون لها بالاعمال التى يصيرون بها الى ذلك كما أن سائر المخلوقات كذلك

٢٠ بيان أولياء الله وغيرهم

٢١ الحرص على ما ينفع العبد هو طاعة الله وعبادته

٢٢ تقسيم الناس الى أربعة أقسام

٢٤ القسم الرابع هو القسم المحمود وهو حال الذين حققوا اياك نعبد واياك نستعين وقوله فاعبده وتوكل عليه

٢٥ ترك الاسباب المأمور بها غلط فاحش

٢٧ ينبغى للانسان اذا ابتلى أن يصبر ويثبت ولا يكل حتى يكون من الرجال الموفين القائمين بالواجبات

٢٨ تنازع العلماء والمشايخ فى الرضا بالقضاء هل هو واجب أو مستحب

٢٩ ماجاء في مدح الصابرين من الآيات القرآنية

٣١ الرضا والحمد على الضراء يوجبه شاهدان

٣٢ تندفع عقوبة فعل السيئة بعشرة أسباب

٣٣ السخا
٣٤ تقسيم الناس الصبر وغيره
٣٥ فصل من أعظم واجبات ـ لبر اصوله واجل قواعده محبة الله ورسوله
٣٧ حقيقة قول لااله الا الله
٣٩ حديث من تشبه بقوم فهو منهم
٤٠ النصارى واليهود يشبهون المخلوق بالخالق ومن ضاهاهم من الممثلة
٤١ اتباع الامة المحمدية الامم السالفة حذوا القذة بالقذة
٤٢ صفة المحبين المحبوبين
٤٣ يحب الله مايحب عبده ويكره مايكرهه
٤٤ الاتحاد نوعان نوعي ووصفي
٤٥ فصل في أن المحبة أصل عمل ديني فالخوف والرجاء وغيرهما يستلزم المحبة ويرجع اليها
٤٨ حديث لايؤمن أحدكم حتى أكون أحب اليه من ولده ووالده والناس أجمعين

ـرهم أن الله لم يتخذ ابراهيم
ـ يكلم موسى تكليما والرد عليه
٥٠ انكار الجهمية الصفات وتأويلهم المحبة الواردة في القرآن والسنة والرد عليهم
٥٤ كل مولود يولد على الفطرة
٥٥ كلام الصوفية في المحبة وما كان عليه الأقدمون منهم وما ابتدعه المتأخرون
٥٦ سماع مايحرك المحبة ومعنى التغير والمغيرة
٥٧ محبة الله موجبة لمتابعة رسوله صلى الله عليه وآله وسلم
٥٨ المقاصد المطلوبة للمريدين تحصل بالسماع الايماني القرآني النبوي الديني الشرعي الذي هو سماع النبيين والعارفين والمؤمنين
٥٩ مشروعية تحسين الصوت في القرآن
٦٠ اتباع سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم وشريعته باطنا وظاهرا توجب محبة الله
٦١ حديث سبعة يظلهم في ظله يوم القيامة
٦٢ تقسيم حمد الله على نوعين
٦٤ كان النبي صلى الله عليه وسلم يستغفر الله في اليوم مائة مرة

تم الفهرس

صفحة	سطر	خطأ	صواب
٥	٩	وزادهم	زادهم
٨	١٥	صادقت	صادقة
٩	٩	وأولو	وأولوا
٩	١٤	بين وبين	بين والخرام بين
١٢	٢١	العباد	العبادة
١٤	٧	المباحاة	المباحات
٢١	٣	مطاعة	طاعة
٢٤	٣	واذ	واذا
٢٥	٢٠	الناس قد	الناس ان الناس قد

صفحة	سطر	خطأ	صواب
٣٣	١١	فائث	فات
٤٧	٤	هذا قائل القول	قائل هذا القول
٤٨	١٧	يحت	يجب
٥٧	٧	السييل	السبيل
٥٨	١٥	ويزيديهم	ويزيدهم
٥٩	١٤	لجبرته لك تجبيراً	لجبرته لك تجبيراً
٦٠	٢٠	قى	في
٦٣	١٤	وان تابوا	ان تابوا

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله (١) الذى وهب للمطيعين الثواب وادخل جنانه بفضله واعطى للمذنبين العقاب والتى نيرانه بعدله والصلوة والسلام على اكمل المخلوقات وعلى اله وصحبه * وبعد * فيقول الفقير الحقير الضعيف احمد ضياء الدين بن مصطفى جعل الله مسكنهما فى جوار المصطفى (قد سئلنى بعض الاذكياء) ان اجمع رسالة فى ضرر المعاصى وتأثيراتها وعقوباتها وسبب النجاة منها فى الدارين (٧) فاجبته الى ذلك بعد الاستخارة (وسميتها) دواء المسلمين (فقلت) ان للمعاصى سواء كان كبيرة اوصغيرة واخلا قا ذميمة اثارا من الاثار القبيحة المذمومة والمضرة بالقلب والبدن والدنيا والاخرة مما لا يعلمه الا الله حتى قال بعض العارفين مما يجب ان يعلم ان الذنوب تضر البتة فان ضررها فى القلوب كضرر السموم فى الابدان ومافى الدنيا والاخرة شر وداء وغم وكدر الا وسببه الذنوب ٦ (فمن عقوباتها) حرمان العلم فان العلم نور يقذفه الله تعالى فى القلب والمعصية تطفئ ذلك النور (ومنها ٤) حرمان محبته الله تعالى لان المحبة تقتضى القربة (٢) والمعصية تقتضى البعدية فلا تجتمع (ومنها) حرمان محبة الرسول لانه لازم لمحبة الله تعالى فكلما زاد الملزوم زاد اللازم وكذا عكسه ١٠ (ومنها) الوحشة بينه وبين الله ولا يقارنها اصلا ولو اجتمعت له لذات الدنيا ٧ (ومنها) الوحشة بينه

(١) فان قيل هل تأتى سعة مغفرة الله ورحمته وعفوه وجوده وان رحمته سبقت غضبه وانه لا تنفعه العقوبة ولا تضره العفو قيل الامر هكذا والله اجل من ذلك وارحم لكن انما يضع ذلك فى محله اللائق فانه سبحانه موصوف بالحكمة والانتقام وعقوبة من يستحق العقوبة فلو كان معول حسن الظن على مجرد صفاته واسمائه لاشترك فى ذلك البر والفاجر والمؤمن والكافر ووليه وعدوه

فما ينفع المجرم اسمائه وصفاته وقدباء بسخطه وغضبه بل حسن الظن ينفع من تاب وندم واقلع وبدل السيئة بالحسنة وكثير من الجهال اعتمدوا ﴿ ٣ ﴾ على رحمة الله وعفوه وكرمه وضيعوا امره ونهيه ومن اعتمد على العفو مع الاصرار فهو كالمعاند يا مقلب القلوب ثبت قلوبنا على دينك

منه

٧ وسر المحبة والعشق والحجاب والنقاب والبعد والقرب ويعلم منها احوال القلب والنفوس وكيد الشيطان والدنيا وحكمة العبادة والاخرى وتبح معرفة الله منه

٦ اعلم ان العبد يعرف ان المعصية والغفلة من الاسباب المضرة فى دنياه واخرته لكن تغالطه نفسه بالاتكال على عفو الله ومغفرته تارة وبالتسويف بالتوبة تارة وبالاستغفار باللسان تارة وبفعل المندوبات تارة وبالعلم تارة وبالاحتجاج بالقدر تارة وبالاحتجاج بالاشباه تارة وبالنظر والاقتداء بالاكابر تارة وهذا كله غرور وخداع من نفسه وتسويل من الشيطان وكيف يجتمع فى قلب العبد تيقنه بانه ملاق الله وان الله يسمع كلامه ويرى مكانه ويعلم سره وبين الناس لاسيما الانبياء وكلما قويت بعدمنهم وقرب من حزب الشيطان (ومنها) تعسير اموره عليه فلا يتوجه لامر الا يجده مغلقا دونه متعسرا عليه اما اليسر بالتقوى ط (ومنها) ظلمة يجدها فى قلبه حقيقة وكلما قويت يقع فى البدع ٥ والضلالات والامور المهلكة (ومنها) انها توهن القلب والبدن اما وهنها للقلب فظاهر (٩) واما للبدن فبالتبعية له ولذا قوى بدن الانبياء (ومنها) حرمان الطاعة انها تصد عن طاعة تكون بدلها وتقطع طريق طاعة اخرى ثم وثم (ومنها) انها تقصر العمر (١١) وتمحق بركته فان البركة كما يزيد العمر فالفجور يقصر العمر حقيقة او معنى (ومنها) انها تزرع امثالها ويولد بعضها حتى يعسر مفارقتها قيل عقوبة السيئة السيئة بعدها (٥) (ومنها) انها تضعف ارادة التوبة فيقوى ارادة المعصية شيئا فشيئا الى ان تسلخ ارادة التوبة بالكلية ٢ (ومنها) ان ينسلخ من قبله استقباحها فتصير له عادة ١ فلا يستقبح رؤية الناس له ولا كلامهم فيه (ومنها) انها تشبهه بامم ماضية لان كل معصية ميراث منهم فالمواظبة لقوم لوط وازباء قوم شعيب ٣ (ومنها) انها سبب لهوان العبد على ربه فاذا هان على الله لم يكرمه احد ومن يهن الله فماله من مكرم (ومنها) انها اذا تكاثرت طبع على قلبه وكان من الغافلين (كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون) (٥) (ومنها) انها تدخله تحت لعنة عم فانه لعن فاعل اللواطة والزباء والرشوة والخمر والصورة (٩) والقدف (ومنها) حرمان دعوته عم والملئكة لانهم يدعون للتابعين لكتابه وسنته فلا يطمع اجابة غير هذه (ومنها) انه رئ بها فى المنام (٨) رؤيه مخوفة وشديدة وفيحة لان روحه لا يرتفع تحت العرش حتى تكون صحيحة (ومنها) انها تحدث فى الارض انواعا من الفساد فى المياه والهوى والزرع والثمار والمساكين ١٠ (ومنها) انها تطفئ من القلب نار الغيرة التى لحياته وصلاحه لانها تخرج ما فيه من الخبث والصفات المذمومة (ومنها ٨) ذهاب الحياء وهو اصل كل خير ومن استحى من الله عند معصيته استحى الله من عقوبته يوم تلقاه (ومنها) انها تضعف تعظيم الرب فى القلب ووقاره فلم يعظم وقاره وعظمته واى عقوبة اجلى من محو تعظيم الله (ومنها

وكثير من الناس يظن انه لو فعل ما فعل ثم قال استغفر الله زال اثر الذنوب وراح هذا بهذا نعم المغفرة والحسن الظن بالله ثابت بالدلائل لكن هذا انما تكون مع الاحسان وعدم الاصرار كما قال الحسن البصرى ان المؤمن احسن الظن بربه فاحسن العمل وان الفاجر اساء الظن بربه فاساء العمل فان وحشة المعاصى والظلم تمنعه من

حسن الظن كما قال الله تعالى وذالكم ظنكم الذى ظننتم الاية منه ٤ وضمير منها راجع الى العقوبة والمؤنث بعده الى المعصية والمذكر الى المذنب منه ٣ قال النبى عليه السلام من احب لقاء الله احب الله لقائه وفى اثر اخر طال الابرار الى لقائى فانا الى لقائهم اشد شوقا وفى ﴿٤﴾ اخرى انا مع عبدى ما ذكرنى وتحركت بى شفتاه فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا

انها تستدعى بنسيان الله له (٧) وتركه وتخليته بينه وبين نفسه وشيطانه (٣) ولا تكونوا كالذين نسوا الله (ومنها) انها تخرج من دائرة الاحسان وثوابه فان الاحسان اذا باشر القلب منعه من المعاصى لانه مشاهد (٧) (ومنها) انها تقطع سير القلب الى الله فالذنب يحجب الواصل ويقطع السائر وينعكس الطالب والمطلوب (ومنها) انها تزيل النعم وتحل النقم كما قال على رضى الله عنه ما نزل بلاء الا بذنب (٢) ولا رفع بلاء الا بتوبة (ومنها) ان يلقى الله الرعب والخوف فى قلبه فان الطاعة حصن الله الاعظم من دخله كان امنا فى دارين (ومنها) الوحشة الى الطاعة (٥) فان انس الطاعة وحلاوتها بوحش المعصية وان عكس فينعكس (ومنها) انها تصرف القلب عن صحته واستقامته الى مرضه وانحرافه وهل العذاب الا عذاب القلب والحجب (٢) (ومنها) انها تعمى بصيرة القلب وتحجب مواد الهدايه وتطمس نوره فلا يزال يضمحل ويغلب الظلمة فاذا اعمى (٣) (ومنها) انها تصغر النفس وتدسها وتحقرها كما ان الطاعة تزكيها (١) قد افلح من زكيها وقد خاب من دسيها (ومنها) انه فى اسر شيطانه وسجن شهواته وقيود هواه والقلب مثل الطائر كلما انفك طار (٩) (ومنها) سقوط (ط) الجاه والمنزلة والكرامة ورفع الذكر عند الله وعند خلقه فان اكرمكم عند الله تقيكم (ومنها) ان تسلب اسماء المدح مثل المؤمن والبر والمحسن والمتقى والمطيع والمنيب والولى والورع والمصلح والعابد (٧) (ومنها) نقصان العقل فلا تجد عاقلين مطيع وعاص الا وعقل المطيع اكمل واصح فاعتبروا يا اولى الالباب ٣ (ومنها) القطيعة بين ربه فانقطع عنه اسباب الخير واتصل به اسباب الشر فتولاه عدوه وتخلا عنه وليه ٣ (ومنها) انها تزيل بركة الرزق والعلم والعمل والدين والدنيا ولو ان اهل القرى امنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات (٤) (ومنها) ان تجعل من السفلة فكلما عمل معصية نزل الى اسفل درجة ولا يزال فى نزول حتى ردالى اسفل سافلين (ومنها) ان جرى عليه الشياطين بالاذى والاغواء والوسوسة والتخويف وكذا

منه ١٠ يعنى كما تنقص اللازم تنقص الملزوم وكذا عكسه ٧ والانسية به انما تكون بالتقوى منه

ط يقول الله تعالى يا ابن آدم اطيعونى بقدر حاجتكم الى واعصونى بقدر صبركم على النار ولا تنظر والى اجالكم المستأخرة وارزاقكم الحاضرة وذنوبكم المستترة وكل شئ هالك الا وجهى الى انحكم والى ترجعون منه

٥ قال النبى عليه السلام ابى الله ان يقبل عمل صاحب بدعة حتى يدع بدعته منه

٩ وهو ان الذنوب لا تزال توهنه حتى تزيل حياته بالكلية منه

١١ قالوا ولا تمتنع زيادة العمر باسباب كما ينقص فالارزاق والاجال والسعادة والشقاوة والصحة والمرض والغنى والفقر وان كانت بقضاء الرب فهو يقضى ما شاء باسباب جعلها موجبة لمسبباتها وقيل ان نقصان العاصى هو ذهاب بركته وقيل الحيوة فى الحقيقة حيوة القلب فليس عمره الا اوقات حياته بالله فاذا اعرض عن الله واشتغل بالمعاصى ضاعت عليه ايام حياته الحقيقة كما قال الله تعالى اموات غير احياء منه

٥ وان من ثواب الحسنة الحسنة بعدها فاذا عمل حسنة قالت اخرى الى جانبها اعملنى ﴿شياطين﴾

ايضا فاذا عملها قالت ثلث كذلك وهلم جرا وكذا السيئات منه ٢ فيكون توبته كذبا بعدة منه ١ فافضل الحياء من الله ثم من الناس فيما لا معصية ولا كراهة فيه واما بهما كالحياء في الامر بالمعروف والنهي عن المنكر وترك السنن كالسواك او الطيلسان ﴿٥﴾ والتقصير وركوب الحمار والاكاف وعق الاصابع والقصعة وترك اكل ما سقط على الارض او السفرة والجهر بالسلام و رده والاذان والاقامة وغيرها مذموم ٣ والعلو في الارض عن قوم فرعون والتكبر عن قوم هود والشرك عن قوم ادريس والتصنع عن قوم نوح والسحر عن قوم موسى منه

٥ قال عم ان المؤمن اذا اذنب نكت في قلبه نكتة سوداء قال تاب و نزع واستغفر صيقل قلبه وان زاد زادت حتى يعلو قلبه فذلك الران الذي ذكره الله عزوجل كلا بل ران الاية ٩ ولعن الواشمة والمستوشمة والواصلة والموصولة والناصفة والمتنصفة والواشرة والمستوشرة ومن لعن والديه ومن ذبح لغير الله ومن اتى بهيمة ومن وشم دابة في وجهها وزائدة القبور والمتخذين عليها مسجدا والمحلل والمحلل له ومن اتى امرأته في دبرها ومن انتسب لغير ابيه ومن كتم ما انزل الله وعلى

شياطين الانس في حضوره وغيبته (ومنها) ان يخون نفسه فان كل احد محتاج معرفة ما ينفعه وما يضره في معاده ومعاشه فاعرفهم من قوى نفسه ٣ (ومنها) سقم القلب لا يكاد يميز اولياء الرحمن والشيطان بل الداء من الدواء وينعكس ادراكه وسعيه فلا يصلح على امور (ومنها) انه قرين الشيطان فلا يجد ادنى راحة وفرح ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطانا فهو له قرين (ومنها) تغيير صورته فان لكل عمل واخلاق صورة مختلفة (٥) وان لم نر ان خيرا فخير وان شرا فشر (ومنها) ان تلقي النفوس زخرف القول وباطله وتخرج الحق وتثقل عليه و يوحي بعضهم الى بعض زخرف القول غرورا ٢ (ومنها) انها شغل ومنع عن ذكر الله وفكره وسكوت عن الحق وكتابه ونصح عباده والساكت عن الحق شيطان اخرس (ومنها) انها مدد وجيش اتى عدوه يقويه على حربه فلا ينام ولا يغفل عنه طرفة عين والانتصاب لواء الحجاب في قلبه (ومنها) انها تزيل الصبر (٣) والسكونة فاطرحوا عليه كلاب الشهوة فاصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون (ومنها) ان تنسي نفسه (٧) وصلاحها وفلاحها وسعادتها وعيبها ونقصها وشقاوتها ولا يسعى في ازالة عللها وامراضها ٢ (ومنها) ضعف الايمان وقوة دواعي الشهوة ومحبة العاجلة (٤) فلا يخفف عنهم ولا هم ينصرون (ومنها) انها بيع فان بياع وخسيس بنفيس وعظيم بحقير فهو غبن عظيم ان يقول امثلهم طريقة ان لبثتم الا يوما (ومنها) ان تزيل جلب النعم الحاصل وتمنع الواصل فان اسباب الجالبة طاعة والمانعة معصية فلا ينال نعمه الا بطاعته (ومنها) انه تباعد الملئكة والولي فانه اذا عصى الله تباعد منه الملئكة بقدر تلك المعصية وفروا من نتن ريحها (ومنها) ان تستجلب مواد هلاكه فانها كامراض كلما زادت زاد هلاكه ولا يتم حياته الا بغذاء من الايمان والعمل الصالح (١) ومنها حدود الخمسة والقتل وقطع الاعضاء والنفي والحبس والجناية والتعزير وتحريف بيوت تارك الجماعة (ومنها) العقوبة القدرية فانها اذا خفت

غير ذلك منه (٨) قال عم اذا فرغ احدكم في النوم فليقل بسم الله اعوذ بكلمات الله التامات من قضبه وشر عقابه وشر عباده وهمزات الشياطين وان يحضرون فانها لن تضره منه ١٠ ظهر الفساد في البر والبحر بما كسبت ايدي الناس فيهلك الحرث والنسل منه ٨ خصوصا من اللوطي والزاني ومن مفعولهما فلا يستحيون بعد ذلك

من الله ولا من خلقه قلبا وقالبا ولذا قالوا وطئهما اشد من قتلهما لانهما حيان القتل مظلوما ان شهيدان ربما ينتفع
في الاخرة وكثير من الصحابة احرقوا فاعل اللواطة ومفعولها فالعقوبة كثير في حق الزاني واللوطي ومفعوليهما
في كتب الاحاديث منه ٧ والمراد به غايته وهو الترك ﴿ ٦ ﴾ وعدم النظر مثل الاستهزاء والمرحمة

تضر صاحبها واذا اعلنت نعم الناس فاشتركوا في انكاره وعقابه (٣) ومنها
عقوبات (٦) الاخروية ورزائلها التي لا تعد ولا تحصى ماعدا هذه العقوبات
فمن يعمل مثقال ذرة شرا يره * ثم اعلم * ان اثم الذنوب يتضاعف بشرف
العامل والمعمول والمكان والزمان (مثلا) الزاني ان كان شيخا كان اعظم
اثما من غيره (وان كان) محصنا كان اعظم اثما منه (وان كان) في بلد
حرام او محل مبارك كان اعظم اثما منه (وان كان) في شهر حرام او وقت
معظم عند الله كوقت الصلوة والاجابة كان اعظم اثما منه (وان زنى)
بحليلة جاره كان اعظم اثما منه وعلى هذا فاعتبر مفاسد الذنوب
وتضاعف درجاتها ٤ في الاثم والعقوبة فان قيل فهل لهذا الداء
العضال والمعصية القتال (دواء) وهل الى التوفيق (٥) سبيل قيل نعم
ما انزل الله (داء الا له دواء) قال النبي عليه السلام لكل (داء) (دواء)
وقال ما انزل الله داء الا انزل له شفاء وقال (ان الله لم ينزل داء الا انزل له
شفاء) علمه من علمه جهله من جهل وفي لفظ ان الله لم يضع (داء) الا وضع
له (شفاء) او دواء قال الترمذي هذا يعم (ادواء القلب والروح والبدن
٤ وادويتها وقد جعل النبي عم الجهل (داء) و جعل (دواءه) سؤال
العلماء ٣ واخبران الجهل (داء) وشفاؤه السؤال وقد اخبران القرآن
شفاء كله فهو شفاء للقلوب من داء الجهل والشك والريب وقال الله
تعالى قل هو للذين امنوا هدى و شفاء وقال و ننزل من القرآن
ما هو شفاء ورحمة للعالمين وقال ويشف صدور قوم مؤمنين وقال
يا ايها الناس قد جاءتكم موعظة من ربكم وشفاء لما في الصدور وقال
فيه شفاء للناس وقال واذا مرضت فهو يشفين ٨ وطريق الخلاص
والنجاة من هذا الداء والبلاء منعه قبل حصوله بالصبر وقلعه بعد نزوله
بالاستغفار والتوبة النصوحة وكلاهما متيسر على من يسره الله عليه
ومتعذر على من لم يعنه (اما طريق) الصبر فامور (الاول) الخوف
عند المعصية (٥) (والثاني) التفكر (والثالث) ملازمة (٢) السكوت
والحياء (والرابع) القناعة باعطاء الله (والخامس) الرضاء بقضاء الله
(والسادس) قهر النفس لرضاء الله (والسابع) ملاحظة الامتثال (٦)

عليه السلام اخشى ما اخشى على امتي كبر البطن ومداومة النوم والكسل وضعف اليقين منه ٢ فلا يصح
القلب بالهواء ونهى النفس عن الهواء فان الجنة هي المأوى منه ٣ ومن كان في الدنيا اعمى فهو في الاخرة
اعمى منه ١ قال النبي عليه السلام ادموا الحج والعمرة فانهما ينفيان الفقر والذنوب كما ينفي الكير خبث

الحديد منه ٩ وفى الحديث الشيطان ذئب الانسان مثله قال عليه السلام اذا عظمت امتى الدنيا نزعت منها هيئة الاسلام واذا تركت الامر بالمعروف والنهى عن المنكر حرمت بركة الوحى واذا سبت امتى سقطت من عين الله منه ٧ وتوصف باضدادها بئس ﴿٧﴾ الاسم الفسوق بعد الايمان منه ٢ ويا عجبا لوضحت العقول لعلمت ان تحصيل اللذة والسرور انما هو فى رضاء من الغفور منه ٣ العبد ملقى بين الله وبين الشيطان فان اعرض عنه تولاه الشيطان وان تولاه الله لم يقدر عليه الشيطان منه ٤ وكل شئ يقارنه الشيطان فبركته منزوعة ولذا سمى فى اول كل شئ ان الرجل ليحرم الرزق بالذنب ليصيبه منه ٣ يقول الله تعالى يا ايها الناس لا عيش كالتدبير ولا ورع كالكف عن الاذى ولا حسب كرفع من الادب ولا شفيع كالتوبة ولا عبادة كالعلم ولا صلوة كالخشية ولا ظفر كالصبر ولا سعادة كالتوفيق ولا زين ازين من العقل ولا رفيق انس من الحلم منه ٥ على هيئة كل الحيوان ويمسخ على خلق كل الحيوان مثل البهائم والسباع والطيور والحشرات وتارة يكون على هيئة واحدة وتارة على آخرى منه ٢ وقالوا ان حسن الظن ان حمل على العمل وحث عليه وساق اليه فهو صحيح وان دعى الى البطالة والانهماك فى المعاصى فهو غرور وحسن الظن هو الرجاء فمن كان رجاءه جاذبا له على الطاعة زاجرا له عن المعصية فهو رجاء صحيح ومن كان رجاءه فى الفوز بالسدرجات العلى والنعم المقيم من غير طاعة والتقرب الى الله بغير امثال اوامره واجتناب نواهيه

لامر الله الذى هو غاية سعادة العبد فى معاشه ومعاده فليس للعبد انفع نفع من امتثال اوامر ربه وما سعد من سعد فى الدنيا والاخرة الا بامتثال امره وما شقى من شقى فى الدنيا والاخرة الا بتضييع امره (والثامن) غض البصر فان نظره سهم مسموم من سهام ابليس وفى غضه منافع (احديها) عدم الوقوع فى النهى قال الله تعالى قل للمؤمنين يغضوا من ابصارهم ويحفظوا فروجهم وقال عليه السلام العينان زنيان ٢ (والثانية) انه يورث القلب انسا بالله وجمعية على الله فان اطلاق النظر يفرق ويوشوشه ويبس على القلب شئ مثل اطلاق البصر فانه يورث الخواطر والوحشة بين ربه ٥٠ (والثالثة) يقوى القلب ويفرحه كما ان اطلاقه يضعفه ويحزنه (والرابعة) يكسب القلب نورا كما ان اطلاقه يكسبه ظلمة (والخامسة) انه يورث فراسة صادقة يميز بها بين الحق والباطل والصادق والكاذب وكلما زادت الفراسة زادت الاتباع بالكتاب والسنة حاصله غض البصر وحبس النظر عن المحارم والشهوات من اعظم المنافع كما ان اطلاقه اكثر الافات (٩) والرزائل والمفسدات والحجاب والظلمات (واما طريق) التوبة والرجوع الى الله ان كان ذنبه بلا دين فبالاستغفار والتوبة النصوحة الصحيحة وان كان بدين الى خالق فبالقضى والاستغفار والكفارة معه وان كان بدين وحق الى مكلف فبالاستحلال بعذر او برجاء او باداء او بعوض او بصلح والاستغفار وان كان بدين وحق الى غير مكلف مثل الصبيان والحيوان فبالاستغفار والاداء او الرجاء بالله وان كان بدين وحق الى مكلف مؤمن مات او غاب فباعطاء الثواب اليهم والاستغفار والرجاء الى الله بالارضاء وان كان بدين وحق الى مكلف كافر او غير مكلف ماتوا او غابوا فبالاستغفار والرجاء للتحمل والارضاء (واما اسرع) طريق النجاة من المعصية فبالمحبة (٥) والتعشق الى جماله تعالى وبكثرة الشغل بالعبادة خصوصا بالاستغفار (١١) وملاحظة الموت والنار والامان بعد نصف الليل والنهار والمرجة الى المخلوق وحسن الظن والفرار من الاشرار (١٠) والصبر من الغضب والشهوة وسوء الافكار

فهو من اسفه السفهاء كمن طلب ولدا من غير جماع وعلما من غير تحصيل وحرص تام به منه ٣ يقول الله يا ابن ادم ما خلقكم عبثا ولا خلقكم سدا وما انا بغافل منكم ان ما كنتم وان تنالوا ما عندى الا بالصبر على ما تكرهون فى رضائى والصبر لكم على طاعتى ايسر لكم من ﴿٨﴾ الصبر على معصيتى وترك الدنيا ايسر من الاعتذار من حر النار وعذاب الدنيا ايسر لكم من عذاب الاخرة فان عذاب النار وعذاب الاخرة اشد وابقى منه ٧ من التجارة الرابحة وتشغله بالتجارة الخاسرة وكفى بذلك عقوبة منه ٣ وان ليس للانسان الا ما سعى والخلق قد نسوا انفسهم حقيقة واضاعوا حظها من الله وباعوا الثمن بخس ولا يظهر هذا الا عند الموت منه

٤ يقول الله تعالى عجبت لمن ايقن بالموت كيف يفرح وعجبت لمن ايقن بالحساب كيف يجمع وعجبت لمن ايقن بالقبر كيف يضحك وعجبت لمن ايقن بالاخرة كيف يستريح وعجبت لمن ايقن بالدنيا وزوالها كيف يطمئن اليها وعجبت لمن هو عالم باللسان جاهل بالقلب وعجبت لمن يظهر بالماء وهو غير طاهر بالقلب وعجبت لمن يشتغل بعيوب الناس وهو غافل عن عيب نفسه اولم يعلم ان الله مطلع عليه كيف يعصيه اولم يعلم انه يموت وحده ويدخل القبر وحده ويحاسب وحده كيف يستأنس بالناس لا اله الا انا حقا محمد عبدى ورسولى منه ١ واستفراغ بالتوبة النصوحة منه ٣ قالوا من ترك الامر بالمعروف والنهى عن المنكر مخافة من المخلوقين نزعت منه الطاعة وقال عليه السلام اذا رأى المنكر فلم يغيروه اوشك الله ان يعمهم بعقاب من عنده

* (فالمحبة) اربعة انواع (الاول محبة الله ولا تكفى وحدها فى النجاة من اعدائه والفوز بثوابه فان الكفار والمشركين يحبون الله (والثانى محبة ما يحب الله وهذه هى التى تدخله الاسلام وتخرجه من الفكر واحب الناس الى الله اقومهم بهذه المحبة واشدهم (٢) فيها (والثالث) المحبة لله وفيه وهى من لوازم محبة ما يحب الله ولا يستقيم محبة ما يحب الله الا بالحب له وفيه (والرابع) المحبة مع الله وكل من احب شيأ مع الله لا من اجله ولاله ولا فيه فقد اتخذه (٣) ندا من دون الله وهى المحبة الطبيعية التى هى ميل الانسان الى ما يلايم طبعه كمحبة العطشان للماء ومحبة النوم والزوجة والولد وغيرها فلا تذم تلك الا اذا الهت وشغلت عن ذكر الله ومحبته كما قال الله تعالى يا ايها الذين امنوا لا تلهكم اموالكم ولا اولادكم عن ذكر الله وقال رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله وقال انما اموالكم واولادكم فتنة (ثم الخلة وهى تتضمن كمال المحبة ونهايتها بحيث لا يبقى فى قلب المحب شعبة لغير محبوبه وهى المنصب العظمى (والمحبة ١١) الصادقة هى التى تجلب صاحبها ما ينفعه فى دنياه واخرته وهى رأس سعادته والمحبة الكاذبة هى التى تجلب صاحبها ما يضره فى دنياه واخرته وهى عنوان شقاوته ومعلوم ان الحى العاقل لا يختار محبة ما يضره ويشقيه انما يصدر عن جهل وظلم فان النفس قد تهوى ما يضرها ولا ينفعها وهذا حال من اتبع هواها (ثم) العشق الكاذب والصورى وما فيه من المفاسد العاجلة والاجلة فانه يفسد القلب بالذات فاذا افسد القلب فسد الارادة والاقوال والكمال انما هذا المرض عن طائفتين من الغلمان والنساء وهذا داء اعى الاطباء وعجز الورى وصعب على الخلق التخليص من ناره فانه تارة تؤدى الى الفكر كمن اتخذ معشوقه ندا يحبه كما يحب الله فكيف اذا كانت محبته اعظم من محبة الله فى قلبه فهذا عشق لا يغفر صاحبه الا بالتوبة وعلامة هذا العشق الشركى ان تقدم العاشق رضى معشوقه على رضى ربه واذا تعارض حق معشوقه وحظه وحق ربه وطاعته قدم حق معشوقه على حق ربه وآثار رضاه على

وقال تعالى لايضركم من ضل اذا اهتديتم منه (٦) فالعقوبات اما في القلب او في البدن او الروح او فيهم في الدنيا والبرزخ والنشر والحشر فالذنب لايخلوا من عقوبة البتة لكن يجهل ولايشعر بما هو فيه من العقوبة لانه بمنزلة السكر والنائم الذي لايشعر الالم منه (٤) يقول الله تعالى ياايها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن الا واتم مسلمون يا ابن ادم وانما مثل العالم بلا عمل كمثل الرعد والبرق بلا مطر ومثل عمل بلا علم كمثل شجرة بلا ثمرة ومثل العالم بلا علم كمثل قوس بلا وتر ومثل العمل بلا زكوة كمثل زرع يزرع على ماء الارض ومثل العلم عند الاحمق كمثل الدر والجواهر عند البهائم ومثل القلب القاسية مع العلم كمثل حجر نافع في الماء ومثل الموعظة عند من لايرغب فيها كمثل المزمار عند القبور ومثل الصدقة من الحرام كمثل من يغسل القذرة على ثوبه ببوله ومثل الصلوة بلا زكوة كمثل حية بلا روح ﴿ ٩ ﴾ ومثل العمل بلا توبة كمثل البناء بلا اساس

رضاه وبذل لمعشوقه انفس مايقدر عليه وبذل لربه اردى ماعنده واستفرغ وسعه في مضايقة معشوقه وطاعته والتقرب اليه وجعل لربه الطاعة الفضلة التي تفضل عن معشوقه من ساعته فتأمل حال عشاق الصورى وحال اكثر عشاق زماننا وربما صرح العاشق بان وصل معشوقه احب اليه من توحيد ربه كما صرح به الاخر بان وصل معشوقه اشهى اليه من رحمة ربه فنعوذ بك اللهم من هذا الخذلان والهوى والطغيان وكثير من العشاق يصرح مابه لم يبق في قلبه موضع لغير معشوقه البتة بل قد ملك معشوقه عليه قلبه كله فان العبودية هي كمال الحب والخضوع والذلة لله وهذا قد استفرغ قوة حبه وخضوعه وذله لمعشوقه فاي الخذلان اشد من هذا وفي العشق

افامنوا مكر الله فلا يأمن مكر الله الا القوم الخاسرون منه (٥) وعلامة التوفيق طلب العلم للعمل وطلب الصمت للسلامة من المعصية وطلب الكفاف للتعفف وعلامة الخذلان طلب العلم للمرأ والعمل للرياء والدنيا للدنيا منه (٤) والدعاء من انفع الادوية وهو عدو البلاء يدافعه ويعالجه ويمنع نزوله ويرفعه او يخففه اذا نزل قال عليه السلام الدعاء سلاح المؤمن وعماد الدين ونور السموات والارض وله مع البلاء ثلاث مقام احدها ان يكون اقوى من البلاء فيدفعه الثاني ان يكون اضعف من البلاء فيقوى عليه البلاء فيصيب لكن قد يخففه الثالث يتقاوما ويمنع كل واحد صاحبه وليس شئ من الاسباب انفع من الدعاء ولا ابلغ في حصول المطلوب وهو سلاح تام كلما قوى خلص من عدوه ونال مراده

وقال عليه السلام من لم يسئل الله يغضب الله عليه وهذا يدل على ان رضاه في سؤاله وطاعته فلم تتكلم على القدر جهلا بل الفقيه يرد القدر بالقدر ويدفع القدر بالقدر منه (٢) قال عليه السلام اتبعوا العلماء فانهم سبوح الدنيا ومصابيح آخرة منه (٨) اعلم ان الاذكار والايات والادوية التي يستشفى بها في نفسها نافعة شافعة البتة فمتى تخلف اما لضعف تأثير الفاعل لضعف قابله وعدم اقباله على الله وجمعيته عليه وقت الدعاء كالسهم يخرج ضعيفا واما لعدم قبول المنفعل والمحل واما لضعفه في نفسه كدعاء لايحب الله لمحاله وعدوانه واما لحصول المانع من الاجابة من اكل الحرام والظلم وغلبة الذنوب والشهوة واللهو والغفلة منه (٥) وعن الحسن ماخافه الا مؤمن ولا امنه الا منافق وقال ابن ابي مليكة ادركت ثلثين من اصحاب النبي عليه السلام كلهم يخاف النفاق على نفسه مامنهم

احد يقول انه على ايمان جبريل وميكائيل عليهما السلام منه (٢) واختلف السلف والخلف هل يكتب جميع ما يتلفظ به العبد والخير والشر فقط على قولين اظهرهما الاول قال عليه السلام كل كلام ابن ادم عليه لا له الا امر بمعروف او نهى عن المنكر او ذكر الله منه (٦) وهو لا يمكن الا بصحبة الكامل والاخيار ولكل قوم هاد منه (٢) وقال عليه السلام ادواحق المجالس ذكروا الله كثيرا وارشدوا السبيل وغضوا الابصار منه (٥٠) والنظر اصل عامة الحوادث التي تصيب الانسان فان النظرة تولد خطرة ثم تولد الخطرة فكرة ثم تولد الفكرة شهوة ثم تولد الشهوة ارادة ثم يقوى فتصير عزيمة فيقع في المعصية ويورث الحسرات والخقوقات فيرى ماليس قادرا عليه ولا صابرا عنه فالقلب لوح فارغ والخواطر نقوش تنقش فيه فان لم يفرغ من الخواطر الردية لم تستقر فيه الخواطر النافعة واذا خلا القلب عن الخواطر التي هي مادة العلم ﴿١٠﴾ والحكمة والهدى جاء الشيطان فوجد المحل خاليا فبثغله بما يناسب حال صاحبه كما قيل (اتاني هواها قبل ان اعرف الهوى فصادف قلبا خاليا فتمكنا) فاكمل الناس اكثرهم خواطرا وفكرا وارادة للرب وتحصيل رضاه وانقص الناس اكثرهم خواطرا وفكرا وارادة لحظوظه وهواه والخواطر عشرة انواع كلها مانعة لتزكية النفس وطريق خلاصه ان لا ينقل قدمه الا فيما يزجو ثوابه والحياء من الله عند خواطره قال الله تعالى يعلم خائنة الاعين وما تخفي الصدور منه (٩) قال عليه السلام آفة الظرف الصلف وآفة الشجاعة البغي وآفة السماحة المن وآفة الجمال الخيلاء وآفة العبادة الفترة وآفة الحديث الكذب وآفة العلم النسيان وآفة الحلم السفه وآفة الحسب الفخر وآفة الجود السرف وآفة الدين الهوى وقال آفة الدين ثلاثة فقيه فاجر وامام جائر ومجتهد جاهل منه (١١) قال ابليس اهلكت بني آدم بالذنوب واهلكوني بالاستغفار وبلا اله الا الله وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون ومثله الاعاذة والحمد وترك الدنيا والطمع والبدعة واتباع السنة منه (٥٠) وكل حركة في عالم العلوي والسفلي فاصلها المحبة فهي علتها الفاعلية والغائية ولا صلاح للموجودات الا بان يكون محبتها وحركتها خالصة لله وحده لا شريك له فلولا المحبة والعشق ما دارت الافلاك والسحب والرياح ولا تحركت الاجنبية في بطون الامهات ولا انصدعت انواع النبات ولا اضطربت امواج البحار ولا تحركت المدبرات والمقسمات وهذا سر المحبة والعشق وحكمة العبادة والشهادة والطاعات والمحبة لاوليائه من تمام محبته وتابع له فكلما كانت المحبة اقوى كانت لذة الاخرى اقوى ابدا وعلامته ينتج الخوف ومعرفة الله منه (١٠) قال

الصوري ظلم كل واحد من العاشق والمعشوقة والمحبوب لصاحبه بمعاونته له على الفاحشة ومخالفة الشرع وظلمه لنفسه وظلمه الى الغير فقد تضمن العشق الفاسد انواع الظلم حتى يعرض نفسه الى التلف فيذهب كل مذهب وطريق وخلق سيء ومعصية فلا يبالي وكذا عاشق الدنيا والمال والبناء والجاه وسائر الشهوات وسكر الشهوات (ثم العشق) الصوري والطبيعي وهي الميل المفرط الغالب مع الاضطراب ٨ ثلاثة (مقبول) وهو عشق الرجل امرته ٥ وجاريته وهذا نافع لانه اكف للبصر والقلب عن غير اهله (ومباح) وهو عشقه الى غير مجرد الوصف او بنظر الاول فاورثه عشقا ٢ ولم يحدث له ذلك معصية ١١ (ومقت ٩) من الله ٢ وبعد من رحمته وهو عشقه الى امرد او الى امرأة غيره

عليه السلام اذا اتت على امتي ثلاث مائة وثمانون سنة فقد احلت لهم العزبة والعزلة والترهب على رؤس الجبال منه (١) يسمى اوله موافقا ثم المين ثم الود ثم الهوى ثم الحب ثم الوله ثم الحيرة ثم الخلة ثم العشق منه (٢) وهي اصل السعادة ورأسها التي لاينجوا احد من العذاب الابها ومحبة العبد لله ورسوله طاعته لهما واتباع امرهما قال الله تعالى قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ومحبة الله تعالى للعبد مغفرته والطافه ان الله لايحب المفسدين منه (٣) كما قال الله تعالى ومن الناس من يتخذ من دون الله اندادا يحبونهم كحب الله والله تعالى كما تفرد في الاولوهية يجب ان يفرد بالعبودية في كل حال فلا يكون محبته كمحبة غيره وكذا في جميع الطاعات والنيات والتفكر والذكر فلا يجعل نصيبا لنفسه وهواه ونصيبا لشيطانه ودنياه بل كله لله وحده منه (١١) فالمحبة الصادقة ميل القلب ﴿١١﴾ الى معروف بالشرع والخلة كمال المحبة والعشق كمال الخلة قال

وهو اضر شئ على العبد في دينه ودنياه واعظم الحجاب القاطعة عن الله كما قال الله تعالى في قوم لوط انهم لفي سكرتهم يعمهون (ثم العشق) المجازي والقلبي والروحاني وهو جذبة معنوية بواسطة تعلقات الروحانية ثلاثة عشق المؤمن الى استاذه ومرشده وعشقه الى الولي او السلف او الصحابة وعشقه الى الانبياء عليهم السلام وهذا يورث منافع كثيرة ٥ ويحصل مكارم الاخلاق ويكون سببا ومقدما الى عشق الالهي البتة (ثم العشق) الحقيقي والسر الازلي وهو جذبة معنوية تتعلقات تجليات الله تعالى وهو نار بلا دخان وثقل بلا حمل وشوق وذوق وشراق واحراق وضياء ورضاء وزكاء وذكاء وجلاء وبهاء وسر وحال ٢ بلا قال وكلا ثلاثة عشق العارف والصديق بصفاته

زرو في رضي الله عنه المحبة اخذ جمال المحبوب بحجب القلب حتى لايجد مساغا للالتفات سواه ولايمكن الانفكاك عنه ولا مخالفة مراده ولا وجود الاختيار عليه لوجود سلطان الجلال القاهرة الحقيقة بتجليه المستفيض عليه دون اختيار عنه ولا مهلة ولا رؤية فان معازله الجمال لايشعر بها واخذته لايقدر عليها وحقيقة مايتولد لايغير عنها تنفي الاعواض والاغراض وتنفي الحقايق فلا يبقى مع غير المحبوب قرار ولا ماسواه اخبار انتهى ولمحبة الله عز وجل علامات منها تقديم امره على هوى النفس ورعايته حدود الشرع والتقوى والورع والتشوق الى لقائه والخلو عن كراهة الموت والرضاء بقضائه ومحبة كلامه والتلذذ بتلاوته وسماعه وطرب عند ذكره وسماع اسمه وعدم الصبر ومحبة عليه الصلوة والسلام واتباعه قال زرو في رضي الله عنه الاصول ثلاثة خشية الله في السر والعلانية والعدل في الرضاء والغضب والقصد في الغنى والفقر والفروع ثلاثة حفظ الحرم ولزوم الخدمة وتصفية اللقمة وتحقيقها بثلثة افراد القلب لله في جميع الاوقات واتهام النفس في جميع الحالات واتباع العلم في الحركات والسكنات وتقيمها بثلاث حسن الخلق في معاملة الخلق والرفق في التناول والتأني في التوجه وقال اصول الخير ثلاثة التواضع وحسن الخلق والنصيحة فالتواضع تتبعه ثلاث الانصاف من نفسك وترك الانتصاف لها وخدمة المؤمنين وحسن الخلق ثلاث يتبعه ثلاث العدل في الرضا والغضب والقصد في الفقر والغنى

خشيته الله في السر والعلانية والنصيحة يتبعها ثلاث العمل الصالح والعلم الصحيح واتباع الحق في كل حال منه (٤) فليس في عشق الصوري والطبيعي مصلحة ومنفعة دينية ودنيوية بل مفسدة فيهما من وجوه احدها الاشتغال بحب المخلوق وذكره عن حب الخالق وذكره الثاني عذاب قلبه بمعشوقه فان من احب شيئا غير الله عذب به الثالث انه اسير في قبضة معشوقه ويسومه سوء الهوان فيهلك الرابع يشغله عن مصالح دينه ودنياه فليس شيء اضيع لمصالحهما من عشق الصوري الخامس كلما قرب من العشق الصوري بعد من الله فابعد القلوب من الله قلوب عشاق الصوري واذا بعد القلب من الله طرقته الافات من كل ناحية ويتولاه عدوه السادس انه اذا تمكن العشق الصوري افسد الذهن والعقل والفكر واحدث الوسواس وربما الحق المجانين بل البهائم السابع انه يفسد خواصه ويضعفه ﴿ ١٢ ﴾ معنويا اوصوريا ومبادي هذا الشق سهلة حلوة واوسطه هم وشغل قلب وسقم واخره عطب وقتل ان لم تداركه عنايه من الله ولذا لا يتمكن هذا العشق الا في قلب غافل اوغير مخلص كما قال الله تعالى انه من عبادنا المخلصين منه ٥ فليس للقلب لذة ولا نعيم ولا فلاح ولا حيوة الا بالمحبة والتعشق الى الله ولذة الفواحش والظلم والبغي والعلو بغير الحق انما هي استدراج لهم ليذيقهم اعظم الالام ويحرمهم بها اكمل اللذات هذا بمنزلة من قدم لغيره طعاما لذيذا مسموما ليستدرجه به الى هلاكه قال الله تعالى سنستدرجهم من حيث لا يعلمون منه ٢ فلا تجتمع في القلب حب المحبوب الحقيقي وعشق الصوري ابدا بل هما ضدان ويخرج احدهما صاحبه فمن كانت قوة حبه كلها لله الذي محبة ماسواهما باطلة وعذاب على صاحبه صرفه ذلك عن محبة ماسواه ولم يحبه الا لاجله ولكونه وسيلة له الى محبته فالمحبة الصادقة تقتضي توحيد المحبوب الحقيقي وان لا يشرك بينه وبين غيره في محبته وكل محبة لغيره فهي وبال ونقمة وكدر على صاحبه وغاية الحقارة والهوان فان الانسان عبد محبوبه كائنا ما كان افرأيت من اتخذ الهه هواه واضله الله منه ٨ وفي الحديث من عشق وكتم وعف وصبر غفر له وادخله الجنة وفي الحديث الاخر من عشق وعف وكتم فمات فهو شهيد فلذا قيل العشق قتيل الهوى ان صبر لله وعف لله وكتم لله وهذا لا يكون الا مع قدرته على معشوقه وايثار محبة الله وخوفه ورضائه ولمن خاف مقام ربه جنتان منه ٩ قال الله تعالى ومن آياته ان خلق لكم من انفسكم ازواجا الاية وقال الزهري اول حب في الاسلام حب النبي العايشة منه ٨ بتعلقات الجذب النفساني والشيطاني

وكماله وعشقه بوصاله وعشقه بجماله وبذاته مطلقا (وعلامته) الدموع والذل والتواضع والخضوع والصبر والانكسار ويورثه الكمال والحضور واليقين تركهما سواه والاختيار وتفويض الامر الى المعشوق المختار (وكل) من كان في قيد المال والعار والامال فليس له خبر من العشق والجمال وله مندفع (٨) لا تعد ولا يحصى وهو النعمة العظمى والسعادة الكبرى والكرامة العليا وغاية الاحسان واللطف والاكرام والخزينة الخفية ومفتاح السعادة وهو تطهير (١٥) القلب وسلامة الصدر (٩) ومعرفة الرب وسير الملكوت والجبروت واللاهوت وابواب الغيب ورفع الظلمات وكشف (٨) الحجاب ولذة الجنان ولب الحور والغلمان

منه ٢ واعظم البلاء عشق الامرد فمن ابتلى به الا من سقط من عند الله وطرد عن بابه وابعد قلبه ودواء هذا الداء الاستعاذة بمقلب القلوب وصدق اللجاء اليه و الاشتغال بذكره والتعرض بمحبته وقربه ورضائه منه ٢ من غير صنعه واختياره منه ٥ وقال الله تعالى قل ان كنتم تحبون الله فاتبعونى الاية وقال كونوا مع الصادقين الاية وقال وابتغوا اليه الوسيلة الاية وقال ولا يرغبوا بانفسهم عن نفسه وقال عليه السلام ان الله يقول اين المتحابون بجلالى اليوم اظلهم فى ظلى يوم لا ظل الا ظلى وقال فى رجل احب قوما ولم يلحق بهم المرء مع من احب وقال مثل الجليس الصالح والسوء كحامل المسك ونافخ الكير وقال يقول الله وجبت محبتى للمتحابين ❊ فى ❊ والمتجالسين ❊ فى ❊ والمتزاورين ❊ فى ❊ والمتباذلين ❊ فى ❊ وفى رواية المتحابين فى جلالى لهم منابر من نور يغبطهم النبيون والشهداء وقال يا باذر اى عرى الايمان اوثق قال الله ورسوله ❊ ١٣ ❊ اعلم فان الموالات فى الله والحب فى الله و البغض فى الله وقال اذا عاد المسلم اخاه اوزاره قال الله طبت وطاب ممشاك وتبوأت من الجنة منزلا وقال اذا احب الرجل اخاه فليخبره انه يحبه وقال لانصاحب الا مؤمنا ولا يأكل طعامك الا تقى وقال المرء على دين خليله فلينظر احدكم من يخالل وقال اذا اخا الرجل الرجل فليسأله عن اسمه واسم ابيه وممن هو فانه اوصل للمودة وقال فى رجل سئل النبى عليه السلام فقال متى الساعة يا رسول الله ولكل من المحبة و الشوق اثار وتوابع ولوازم واحكام سواء كانت محمودة او مذمومة من الذوق والوجدان والحلاوة والشرف والانس والاتصال بالمحبوب والقرب والانقطاع والبعد والصدو الهجران والفرح والسرور والبكاء والحزن وغير ذلك فلا تقع المحبة الفاسدة والعشق الصورى الا من اعتقاد فاسدة وفكر فاسد او هو آء غالب او تركب من ذلك واعان بعضا بعضا فتفق شبهه بالحق و الباطل وعلامة الحق اتباع الشريعة ظاهرا وباطنا فان كانت المحبة صادقة فتوابعها كلها نافعة وان كانت كاذبة فتوابعها كلها مضرة والله يحب المحسنين منه ٤ قال ما عددت لها قال ما عددت من كثير صلوة ولا صوم ولا صدقة ولكنى احب الله ورسوله فقال انت مع احببت وقال لا يؤمن احدكم حتى اكون احب اليه من نفسه وماله وولده ووالده والناس اجمعين و قال ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الايمان ان يكون الله ورسوله احب اليه مما سواهما وان يحب فى الله وان يبغض فى الله و روى انه مكتوب على ساق العرش من اشتاق لى رحمته ومن سئلنى اعطيته ومن تقرب الى بالصلوة على محمد غفرت له ذنوبه ولو كانت مثل زبد البحر فاصل الايمان مشروط باصل الحب وكمال الايمان مشروط بكمال الحب

وهو مادة اولياء وسير انبياء وهو المقام الاحمدى والقدم المحمدى وهو النجاة من البعد والنيران والوصال والقرب الى الرحمن كذا فى الكتب الستة وشروح المصابيح وتفسير القاضى والامام الرازى والهداية وتاتارخانية وشرح المواقف وصلى الله على سيدنا محمد واله الكرام

الحمد لوليه والصلوة على نبيه وعلى اله لما نظرت وطالعت لهذه الرسالة المجموعة وجدتها مشتملة على فوائد شريفة وفرائد نفيسة من علمها وعمل بها فاق فى الدنيا بالصلاح وفاز فى الاخرة بالفلاح و لله درجامعها حيث كان موفقا لمثل هذا الاثر الجليل جعله الله خالصا لوجهه الكريم وزريعة الى الاجر العظيم وانا الفقير الحاج السيد محمد امين الشهير بشهرى حافظ خواجه

باتفاق جمهور الحنفي منه ٨ ومن منافعه رقة القلب وتكميل النفس والعقل وحملها على مكارم الاخلاق ولطف الجانب والادب البادع ويشجع جنان الجبان ويصفي ذهن الغبي ويسخي كف البخيل ويسكن نوافر الاخلاق ويذل عزة الملوك وهو انيس من لا انيس له وجليس من لا جليس له ويزيل الكدورو ويجلب السرور منه ٩ قال اسحق ارواح العشاق عطرة لطيفة وابدانهم رقيقة خفيفة وكلامهم يحيي اموات القلوب ويزيد في العقول وفي الحديث نفس من انفاس المشتاقين خير من عبادة الثقلين منه ١٥ لا ينفع مال ولا بنون الا من اتى الله بقلب سليم الذي سليم من الشرك والحقد والحسد والبخل والكبر والرياء والعجب وحب الدنيا وسائر الاخلاق الذميمة وقيل سليم من كل افة تبعده عن الله وقيل من كل شهوة تعارض امره وقيل من كل شبه تعارض شرعه وقيل من كل ارادة تزاحم مراده وقيل من كل قاطع يقطع ﴿ ١٤ ﴾ عن الله فهذا القلب السليم في جنة معجلة في الدنيا والبرزخ والمعاد فهذا مقام الرضا منه ٨ واعظم الحجاب خمسة شرك يناقض التوحيد وبدعة يناقض السنة وشهوة تخالف الامر وغفلة تناقض الذكر وهوى يناقض التجريد والاخلاص وانفس اعظم من هذه الخمسة حجابا ودوائها القاطع لها هو العشق منه

حضرت شهرياري نحمدك يا من وفقنا لمكارم الاخلاق في الدين القويم والصلوة والسلام على من هدانا الى الصراط المستقيم وعلى له المتشبثين باذياله الكريم ❁ اما بعد ❁ فاني قد طالعت ما في هذه الرسالة الشريفة ووجدت كله موافقا للسنة النبوية ومنتخبا من اثار المصطفوية ومقبولا عند اصحاب النفوس الزكية رزقنا الله العمل بما فيها وافاض به علينا من فيوضات المصطفى صلى الله عليه وعلى اله المجتبا وانا الفقير يوسف بن عثمان الخربوتي عامله الله بلطفه الخفي

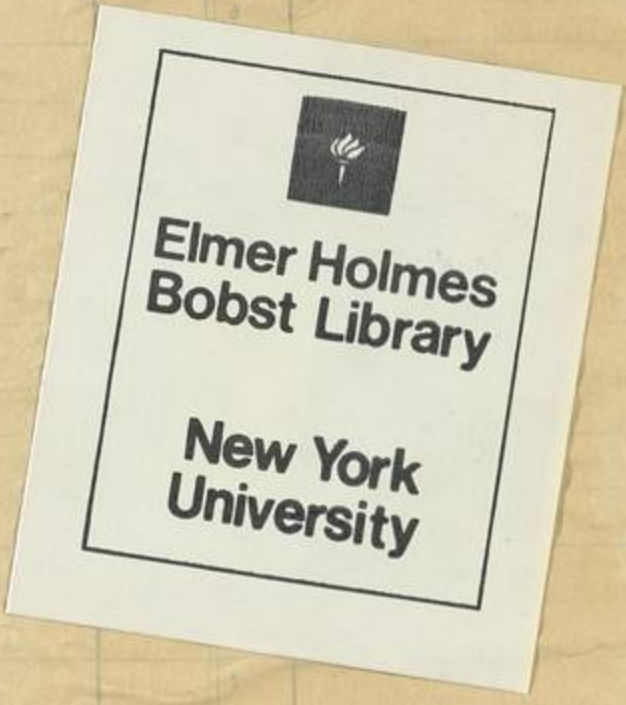
Elmer Holmes
Bobst Library
New York
University

NYU - BOBST
31142 01387 8494
HF406 .D55
Kitab al-I

HF
406
.D55
c.1